وبالجملة، فالفقيه أبو حربه المذكور كان من أولياء الله تعالى العارفين، يشهد لذلك حلاوة عبارته في الدعاء الذي سنورده، وعلوُّ مطالبه. لا جرم أن لكلام الأولياء العلماء مزية ظاهرة على كلام غيرهم، وللدعاء منهم بركة زائدة على دعاء غيرهم، خصوصًا الدعاء الذي سنسرده، فإن فيه بركة مشهورة عظيمة؛ وللناس لا سيما أهل الأقطار اليمنية إقبال عليه عظيم، ويحفظونه ويقرءونه عند ختم القرآن الكريم، وقد أثنى عليه العلامة الشرجي المذكور في طبقاته عند ترجمة المسطور، فقال فيها: وللفقيه أبي حربة المذكور نفع الله تعالى به دعاء عظيم، مشهور الفضل والبركة جعله لختم القرآن، له حلاوة في الأفواه، وموقع عظيم في القلوب عند أهل الفهم والذوق، يشتمل على مطالب عزيزة، وفوائد جمّة، تدل على كمال معرفة الفقيه بالله تعالى وولايته وتمكنه، مع ما فيه من الفصاحة والبلاغة وعذوبة اللفظ، وأثرُ النور والبركة عليه ظاهر، نفع الله تعالى به. وللناس عليه إقبال عظيم يحفظونه عن ظهر الغيب، ويقرءونه عند ختم القرآن العظيم في المجالس ومواضع الجمع، خصوصًا في شهر رمضان. وقد شرحه الفقيه العلامة السيد حسين ابن الشريف عبد الرحمن بن محمد بن علي الأهدل شرحًا مفيدًا مطوّلا في نحو مجلدين. اهـ.

قلت: وبحمده تعالى قد اطلعت عليه في كتبخانة المطبعة الماجدية بمكة المحمية، فوجدته كما قال وقد سماه «مطالب أهل القربة في شرح دعاء أبي حربة» وصححت متن الدعاء عليه حسب الطاقة. وقد قال بعد سرده المتن: وفي بعض النسخ تقديم بعض الألفاظ وتأخير بعضها، أي وزيادة. وذلك مما لا يختلف به المعنى. هذا.

وحيث عُلم فضل دعاء أبي حربة المذكور وبره الموفور، فيحسن إيراده هنا بإثباته لتفيض أسرار بركاته، ويعمّ نفعه الخلق بطيب نشره، ويحصل لي أجرُ الدلالة عليه بطبعه ونشره.

والدعاء المذكور هو هذا:

دعاء ختم القرآن لأبي حربة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام والإيمان، ومنّ علينا بالإتباع لنبيه الهادي إلى الحق والبيان، وأرشدنا لشرائعه واتّباع حكمه وتلاوة القرآن، وأزلفنا بذكره ووفَّقنا لشُكره، وأتحفنا بالتفكّر في الآلاء والإحسان، وأشهدُ أن لا إله إلا الله واحده لا شريك له، الخالقُ الرزَّاقُ الكريمُ المنّان، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله المصطفى من عدنان، الذي خصّصه بالحُبّ، ونعّمه بالقُرب، وفضّله بالعفو والغفران، صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه وتابعيهم على ممرّ الدهور والأزمان. (اللهم) صل على رُوح سيدنا محمد في الأرواح، وبلّغه أقصى رتبة في السعادة والفلاح، والسلام على المصطفى ورحمة الله وبركاته. (اللهم) بلّغ روح سيدنا محمد منّا تحيّةً وسلامًا، واجزه عنا أفضلَ ما جزَيت نبيّا عن أمته، وآته الوسيلة والفضيلة والشرفَ والدرجة الرفيعة، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته يا أرحم الراحمين

(اللهم) صل عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وآل كل منهم وأزواجهم وصحبهم وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين. صدق الله العظيم الوهّابُ، الكريمُ التوّابُ، المنعمُ على خَلقه بالعطايا وجزيل الثّواب، الذي أرشدنا إلى الطريقة، وجعل حبيبه المختارَ خير الخليقة، وأمته الحامدة الشفيقة، (نحمده) على ما أولانا من النعماء، وعلّمنا من الآيات والأسماء، وشرحَ بالقرآن العظيم صدُورنا من الشكّ والعماء، وجعله لنا نورًا هاديًا، وحصنًا منيعًا واقيًا، وحدَّ لنا فيه الحدُود والأحكام، وبيّن لنا فيه شرائع الإسلام، وأمرنا فيه بالتوحيد والجهاد والحج والإحرام، والصلاة والزكاة والصيام، والعبادة والقراءة والقيام، وفضّل به شهر رمضانَ على سائر الشهورَ في الأعوام. (اللهم) كما خصصتنا بكتابك الكريم وهديتنا به إلى الصراط المستقيم، أصلح (اللهم) به منا جميعَ ما فسدَ، وطهّر به منا باطنَ الرُّوح وظاهرَ الجسدِ، وانزِع به عنا جميع الغلّ والحسد، وحُطنا به من

جميع الآفات، ونَجّنا به من الأهواء والتبعات.

(اللهم) بحق أسمائك الحسنى وكلماتك التامّات، التي مننتَ بها على آدم عليه السلام حين عصَى فأقلت منه العثرات، أقِل يا سيدي عثراتنا، وتحمَّل تبعاتنا، واعفُ عن سيئاتنا، وجُدْ علينا بفضلك وقربك، واجعلنا من خالص أهل المحبة من حزبك. (اللهم) اقطع به عنا جميعا القطّاع للطريق، وأجرنا به من الزيغ والابتداع والتعويق. (اللهم) انفعنا بما أوردت فيه من الأحكام، وارزُقنا فيه الفهم لأخذ الحلال واجتناب الحرام، وألهمنا فيه ذكرك الذي تحصل به مناشير الولاية والأعلام، وارزقنا به الإخلاص واليقين والمراقبة على الدّوام، وحسّن به أخلاقنا ووسِّع به أرزاقنا، وارزقنا به العافية من جميع الأمراض والأسقام.

(اللهم) بشِّر به أرواحنا عند الخروج من الأجساد بالروح والرَّيْحان والزُّلفة الكاملة والوداد، ونوِّر به قبورنا في ظُلم الأرماس[21] والألحاد بالنور الذي تَجلّيتَ به لخواصّ الخواص أهل الإرادة والمراد، وارزُقنا به الإيمان والأمن من الخوف في يوم الحشر والمعاد. (اللهم) اقطع به عنّا جميع العلائق، وآمنّا به من جميع البوائق، واستُر به عوراتنا، وآمن به روعاتنا، وأقرَّ به قرارنا، واعمُر به ديارنا، واقض به أوطارنا، واشرح به صدورنا، ويسِّر به أمورنا، وأجزل به أجُورنا، وأصلح به ذات بيننا وألِّف به بين قلوبنا. (اللهم) اجعله لَنا شافعًا ومُعينا وكهفًا من الأسواء وحرزًا كنينًا.

(اللهم) اجعلنا بالقرآن العظيم ذاكرين، وللنعماء شاكرين، وفي الضرّاء صابرين، وللفرائض مؤَدِّين، وبالآثار للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مقتدين ومهتدين، وعن المسئلة للغير مستغنين، ومن العبودية لمن سواك مستنكفين، وبفضل جودك وكرمك يا ربِّ مُكتفين، وبالأعمال مخلصين وبالإنابة مُخبتين[22]، وبالآيات موقنين، وإلى الإخوان محسنين، وفي الزّلازل متوقِّرين ومتثبتين وفي مجالس الذّكر حاضرين، وبالطاعات

21 1).الأرماس: جمع رمس بفتح الراء؛ وهو القبر. اهـ مصححه.

22 1). خبت: خشع وتواضع. اهـ مصححه.

آمرين، وعن المعاصي زاجرين، وبالقسطِ قائمين، وبالنهار صائمين وبالليل قائمين، وبالإقبال دائبين، ومن الخوف ذائبين ومن الشوق هائمين، وعلى متن الصراط جائزين، وعن النيران حائدين، وبالجنان فائزين، وإلى وجهك الكريم العظيم يا ربّ ناظرين.

(اللهم) بحقّ جبريلَ الأمين والملائكة الأبرار، وبحقِ المصطفى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والأنبياء الأَطهار، وآل كلٍّ منهم وأزواجه وأصحابه المصطفَينَ والأخيار، والصدِّيقين والشهداء، والحكماء والحلماء، والعلماء الأحبار، والزّهاد والعبّاد، والمجاهدين والمخلصين، والصادقين والصابرين في كل الأقطار، والأقطاب والأوتاد والأبدال، والأبرار بالإسرار والأنوار، والأسماء التي في النجوم والأقمار، والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار، أقبل منّا يا سيدي ما عملناه، وعلِّمنا ما جهلناه، ولا تعاقبنا على السيئات والأوزار، واسقِنا من حوض نبيّك سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عند التهابِ العطش في الأكباد واحتراق الأسرار. (اللهم) لا سوّدتَ به وجوهنا عند الحساب ولا فضحتَنا به في يوم الحشر والمآب، ولا أعميتَ بصائرنا، ولا كدّرتَ سرائرنا، ولا خذلتنا به في ذلك المقام (اللهم) إنك تعلمُ ما قد فرّطنا فيه من الحقوق، وما قد اقترفنا فيه من الأوزار والعقوق، فلا تؤاخذنا بالتفريط، ولا تعاقبنا على التخليط، واصفح عن الأوزار، واحلُم علينا واستُرنا واغفر لنا يا غفّار. (اللهم) بيّضِ به وجوهنا يوم النُّشور، ونَجّنا به من دعوى الوَيل والثُّبور، وأعطنا به كُتبنا بالإيمان، واشمُلنا بالسعادة والإحسان، وارزُقنا به المطالعة إلى أنوار أشعة عظمتك، لتَخْمُد حواسُّنا تحت سلطان قهرك وهيبتك، وتفنَى أنفسُنا برؤية كمال جلال قدرتك وعزّتك، وتحيا أيضا برؤيتها عند إشراق أنوار جمال وجهك المنير وحضرتك، ورقِّنا به إلى أعلى أعلى مقام التوكل والصدق، لنبلغ به إلى أعلى أعلى مقام الولاية في مقعد صدقٍ، وكن لنا يا سيدي مُتوليًا في جميع

الأمور، ونضِّر به وجوهنا عند الحضور، بمشاهدة حضورك في وسط قلب القلب بالفرح الدائم والسرور، والمكاشفة والمشاهدة بتحقيق الحقائق لمواضع الإحسان كإيمان حارثة رضي الله تعالى عنه بيوم البعثِ والنشور.

(إلهي) كرمُك مذكورٌ، وفضلك مشهورٌ، وأنت عليمٌ شكورٌ حليمٌ صبورٌ، عزيزٌ غفورٌ. (اللهم) أصلحنا وأصلح لنا سلاطيننا وقضاتنا، وجُندنا وولاتنا والعلماء والمتعلمين، والسفهاء والجاهلين، والغزاة والمجاهدين، والحجّاج والمسافرين، والتجّار والزّارعين، والأولاد والوالدِين، والنساء والعبيدَ والإماء، والضعفاء والفقراء والمساكين، واطرَح للجميع البركة في المعاش، وسلِّمنا وسلّمهم من المناقشة والفتاش[23]، وأسبل (اللهم) علينا وعليهم سترك الحصين، وتب علينا وعليهم وعلى جميع المسلمين من الجن والإنس أجمعين، توبةً نصوحًا وصحِّح لنا ولهم إيماننا، وقوِّ عزائمنا، وثبِّت دعائمنا، ونَجّنا مما نُحاذر في الدارين نحن ووالدينا وأولادنا وأزواجنا، وإخواننا وأخواتنا وأعمامنا وعمّاتنا، وأخوالنا وخالاتنا، وأجدادنا وجدّاتنا وقراباتنا وجيرانَنا، وأصهارَنا وأصحابَنا ومُحبينا ومشايخَنا في الدّين، ومن علّمنا ومن علّمناه ومن والانا بالإحسان فيك ومن والَيناه، وذرارينا وذُرّياتهم الجميعَ وجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، إنك أنت الله مجيبُ الدعوات، وقاضي الحاجات، وما سألناك من خير فأعطنا، وما لم نسألك فابتدئنا، وما قصرَت عنه آمالنا وأعمالنا من الخيرات فبلِّغناه بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين. سبحان ربك رب العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

هذا، وعند طبع هذا الدعاء وجدت نسخة عليها آثار الصحة من دعاء

23 1). الفتاش: يريد التفتيش، ومعناه البحث، وليس لكلمة «الفتاش» أصل في اللغة. مصححه.

ختم القرآن المنسوب لسيدنا الإمام المجتهد العابد سيدي علي زين العابدين ابن السبط سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله تعالى وجهه ونفعنا بهم؛ وهو دعاء عظيم، خرج من قلب سليم، ويعرف ذلك الدعاء «بالتكسيم». ووجدت أيضًا دعاء آخر مختصرًا للعلامة الورع الزاهد الشيخ أحمد المكني بالوعار رحمه الله ونفعنا به؛ فجمعتهما مع دعاء أبي حربة ودعاء شيخنا وشيخ مشايخنا في مجموع سميته «إتحاف الإخوان، بأدعية ختم القرآن» سيطبع إن شاء الله تعالى.

ما يطلب في العشر الأواخر التي فيها ليلة القدر:

اعلم أن الله سبحانه وتعالى فضّل مواسم الطاعات على سائر الأوقات، ويسَّرها للخيرات والبركات، وشرّف شهر رمضان على جميع الشهور، وخص لياليه بالفضل المشهور، وميّزها بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، واطَّلع فيها على أهل الذنوب فغفرها، وعلى العيوب فسترَها، وعلى القلوب فسكّنها وعمرها، وعلى حوائج السائلين فقضاها بفضله ويسّرها، وجعل هذه الليلة الشريفة واسطة عقد الدهر، وصيَّر أعمالها موفورة الأجر، فما أدركها داع ذو إنابة، إلا ظفِر بتعجيل الإجابة، ولا استجار فيها مستجير إلا أجاره الله وكفاه، ولا أناب إليه فيها منيب إلا قبله واجتباه، ولا تعرّض لمعروفه طالب إلا جاد عليه وحباه (فطُوبى) لمن عظّمها ووقَّرها، يا لها من ليلة ما أبركَها وأنورَها، وما أكثر خيراتها وأغزرَها، تُفتح فيها أبواب السموات، وتنزل الملائكة بالبشارات لمن أحياها من الأنام، وسهَر ليله ومنع جفونه من المنام. (فيا فوزَ) من تلذّذ فيها بالمناجاة وتمنّى، وتهنّى فيها بطاعات مولاه وتَحلَّى، فقام على قدمه فتضرّع وصلى، وشاهد أنواره لما تَجلّى، فيا لها من ليلة ما رُفعت فيها إليه قصة محتاج إلا نظرها، ولا وصلت إليه دعوة إلا أنْجزها ونصرها، ولا صعدت إليه أنفاس كُربة إلا أزال كُربتها وضُرَّها، ولا انتهت إليه شكاية ملهوف إلا أزال عنها الحرج وأتاها بالفرج وبشّرها، ولا تضرّعت بين يديه معتذِرةً إلا قبلها

وأعذرها، ولا توجّعت من أجله قلوب المنكسرة إلا أغاثها بلطفه وجبَرَها.

أخرج الإمام أحمد رحمه الله تعالى في مسنده بسند حسن عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن عُبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «ليلة القدر في العشر البواقي، من قامها ابتغاءَ حِسبتهن فإن الله تبارك وتعالى يغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وهي ليلةُ وِتر؛ تسع أو سبع أو خامسة أو ثالثة، أو آخر ليلة». قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: رجاله ثقات.

وأخرج النسائي في السنن الكبرى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: «من قام رمضان -وفي رواية: شهر رمضان- إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر. ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر». قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الخصال: كذا رواه النسائي عن قُتيبة، وتابعه حامد بن يحيى عن سفيان وهو ثقة ثبت؛ وإسناده على شرط الصحيح.

(وروى الخطيب) في التواريخ من حديث أنس رضي الله تعالى عنه: «من صّلى ليلة القدر العشاءَ والفجر في جماعة فقد أخذ من ليلة القدر بالنصيب الوافر».

(وقالت عائشة) رضي الله تعالى عنها وعن أبيها وأمها: يا رسول الله، إن وافقتُ ليلة القدر فبم أدعو؟، قال: «قولي: **اللهم إنك عفوٌّ كريمٌ تُحبّ العفوَ فاعفُ عنّا**». هذا.

واختلفوا في وقت ليلة القدر، وكلّ استدل على قوله بما يطول الكلام به. فأكثر أهل العلم أنها مختصة برمضان. وإذا قلنا: إنها فيه، فهل هي في كل رمضان أو في العشر الأواخر منه فقط؟ قولان؛ أحدهما: أنها في كل الشهر، وثانيهما: وهو ما عليه الكثير من أهل العلم أنها مختصة بالعشر الأواخر منه. والغالب كونها في الأوتار، خصوصًا إذا صادف الوتر ليلة جمعة. وقيل: هي دائرة في سائر السنة مخفية فيها لا تختص برمضان.

والحكمة في إخفاء ليلة القدر على الناس في شهر رمضان ليعظموا جميعه، ويجتهدوا في سائر لياليه على القول بأنها فيه، أو جميع العشر الأواخر على القول به، أو جميع السنة على القول به. هذا.

وما يتعلق بليلة القدر طويل مشهور في الكتب خصوصًا مثل «تحفة الإخوان، والروض الفائق» مسطور، وبسطه ليس هذا محله، ولكن نذكر هنا ما وجدنا من الأدعية، فنقول:

قد علمتَ من حديث السيّدة عائشة رضي الله تعالى عنها أنه يطلب الدعاء في تلك الليلة بقول: «**اللهم إنك عفُوٌّ كريمٌ تُحبّ الفعوَ فاعفُ عنِّي**»، ويزاد بعده: «(اللهم) إني أسألك العفوَ والعافيةَ والمعافاة الدائمةَ في الدين والدنيا والآخرة» لورود ذلك في ليلة القدر كما تقدم عن الونائي فيما يطلب في شعبان.

وقال الونائي أيضًا: روى ابن عباس مرفوعًا عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: «من قال **لا إله إلا الله الحليمُ الكريمُ، سبحان ربِّ السموات السبع وربِّ العرشِ العظيم** (ثلاث مرات) كان كمثل من أدرك ليلة القدر» أي من قال ذلك فيَ ليلة يظنَها ليلة القدر ولم تكن ليلة قدر، وعمل فيها عملا صالحا فإنه يكون عمله فيها كعمل مثل ذلك في ليلة قدر. وقال صلى الله تعالى عليه وسلم: «من قرأ آية الكرسي ليلة القدر كان أحبّ إلى الله تعالى من أن يختم القرآن في غيرها من الليالي» انتهى.

هذا، وقد جمع بعضهم دعاء للنصف الآخر من رمضان المعظم، ولا بأس أن يقرأ في جميعه خصوصًا في العشر الأخيرة منه، وهو هذا الدعاء:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. يا حيُّ يا قيّومُ، يا ذا الجلال والإكرام، اللهم تقبّل منّا صيام شهر رمضان على ما كان فيه من تساهُلنا، وإلا بفضلك تفضّل علينا، اللهم اجعله كفّارةً لما سبق من ذنوبنا، وعصمةً فيما بقي من أعمارنا، وارزُقنا أعمالاً صالحةً ترضَى بها عنّا يا ذا الجلال والإكرام. (اللهم) اجعلنا فيه من المقبولين، ولا تجعلنا فيه من

المردُودين، ولا من المغضوب عليهم ولا من الضالين (اللهم) تقبله منه، وأعِده علينا أعوامًا بعد أعوام، وسنينَ بعد سنين، مجتمعين غير متفرّقين، راضِين غير ساخطين، مغفورًا لنا غير مُذنبين. ربنا تقبل منا إنك حميدٌ مجيدٌ. (اللهم) تقبل منا أعمالنا على ما كان فيه من ضعفنا وتقصيرنا (اللهم) وأشركنا في دُعاء الصالحين، واجعل لنا في دعائهم حظًّا ونصيبًا برحمتك يا أرحم الراحمين (اللهم) اجعلنا ممن أجزلتَ لهم ليلة القدر، وجعلتها لهم خيرًا من ألف شهرٍ مع عظيم الأجر وكريم الذُّخر، وما كان فيه من برّ وذِكر وشكر، فتقبّله منّا وأحسِن قبولنا، وما كان منا من تفريطٍ وتقصير وتضييعٍ فتجاوز عنّا بسعة رحمتك يا أرحم الراحمين.

(اللهم) استجب دعاءنا واسمع فيه نداءنا وقوِّ أبداننا، ولا ترُتدّ أيدينا صفرًا إلى نحورنا، برحمتك يا أرحم الراحمين. واعتق رقابنا، ورقاب آبائنا وأمهاتنا من النار، واجعلنا من المتقين الأخيار برحمتك يا عزيزُ يا غفّارُ. وهب (اللهم) لنا سوالف الآثام، وتقبّل منا الصلاة والقراءة والصدقة والصيام والقيام، واعصمنا فيما بقي من الأيام، وأحلّنا برحمتك دار السلام، ولا تُرنا قبيحًا بعد هذا المقام، واحشُرنا مع الأَولياء البررَة الكرام برحمتك يا أرحم الراحمين ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا، ربّنا ولا تُحمِّلنا ما لا طاقة لنا به، واعفُ عنّا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصُرنا على القوم الكافرين﴾ برحمتك يا أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله تعالى على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم. انتهى.

وقد تطفّلتُ فجمعت دعاء ليقرأ في العشر الأخيرة[24] من رمضان المعظم، خصوصًا في ليالي الأوتار، وضمنته الدعاء الذي مرّ في ليلة النصف من شعبان المطوّل فلخصت منه وزدت عليه، وقدمت الوارد، جامعا بين الأحاديث

---

24 (1).

المتقدمة؛ فأرجو أن يكون مناسبا مقبولا، وفي الحقيقة ليس لي فيه غير الجمع. وكيفيته أن يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، (اللهم) صلّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. ثم يقرأ «آية الكرسي» (ثلاثا) ثم «لا إله إلا الله الحليمُ الكريمُ، سبحان الله رب السموات السبع وربّ العرشِ العظيم» (ثلاث مرات). (اللهم) إنك عفوٌّ كريمٌ تُحبّ العفوَ فاعفُ عنّي (ثلاثا). (اللهم) إني أسألك العفوَ والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة. (اللهم) أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الأخرة، ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار﴾ وأدخلنا الجنة مع الأبرار، يا عزيزُ يا غفّار (اللهم) إني أسألك أن تتقبّلِ منا ما عملناه في هذا الشهر الفضيلِ منِ الصلاة والصيام والقيام، وكلِّ فعل جميل، وأن تكفِّر عنا السيئات وتجزلَ لنا الحسنات، وتجعل حظّنا فيه موفورًا، وسعينا فيه مشكورًا، وتجعلنا مَن الموفّقين الذين فرّقوا أوقاتهم فيه مع الإخلاص بين صوم وسهر، وهيّأتَ لهم لذيذَ المناجاة بصالح الدعوات بين وسط الليل والسَّحر، وتجعلنا ممن قام بواجباته وسننه واجتهد في عمارة زمنه، وتخلّص من آفات الصوم وفتنه، وأخلص في سرّه وعلنه، وتب علينا فيه توبةً نصوحًا لا ننقُضُ عقدها أبدًا، واحفظنا في ذلك لنكون من جملة السعدَا.

(اللهم) إن لك في كلِّ ليلة من هذا الشهر عُتقاء من النار فاجعلنا من العتقاء، وأدخلنا الجنة مع الأبرار، واجعلنا من العائدين لأمثاله، المقبولين الفائزين بالنبي وآله، صلى الله تعالى وسلم عليه، وزاده فضلاً وشرفًا لديه (إلهي) تعرّض إليك في هذه الليلة المتعرِّضون، وقصدَك وأمّل معرُوفك وفضلك الطالبون، ورغب إلى جودك وكرمك الراغبون، ولك في هذه الليلة نفحاتٌ وعطايا، وجوائزُ ومواهبُ وهبات تمنّ بها على من تشاء من عبادك، وتخصّ بها من أحببته من خلقك، وتمنع وتحرم من لم تسبق له

العناية منك، فأسألك يا الله بأحبّ الأسماء إليك، وأكرم الأنبياء عليك، أن تجعلني ممن سبقت له منك العناية، وتجعلني من أوفَر عبادك وأجزلِ خلقك حظّا ونصيبا، وقسْماً وهبة وعطيّة في كل خير تقسمه في هذه الليلَةَ، أو فيما بعدها من نور تهدي به أو رحمة تنشرُها، أو رزق تبسُطُه، أو ضرٍّ تكشفُه، أو ذنب تغفره، أو شدّة تدفعها، أو فتنة تصرفها، أو بلاء ترفعه، أو معافاة تمنّ بها، وعدُوٍّ تكفيه، فاكفني كلّ شرٍّ، ووفِّقني (اللهم) لمكارم الأخلاقً، وارزُقني العافية والبركة والسعة في الأرزاق وسلّمني من الرِّجز والشرك والنفاق. (اللهم) إنّ لك نسماتِ لُطف إذا هبّت على مريض غفلة شفتهُ، وإن لك نفحات عطف إذا توجهت إلى أسير هوًى أطلقته، وإنً لك عنايات إذا لاحظت غريقا في بحر الضلالة أنقذته، وإن لك سعادات إذا أخذت بيد شقيٍّ أسعدته، وإن لك لطائفَ كرم إذا ضاقت الحيلةُ لمذنب وسعته، وإن لك فضائل ونعَماً إذا تحوَّلت لفاسد أصلحته، وإن لك نظرات رحمة إذا نظرتَ بها إلى غافل أيقظته، فهب لي (اللهم) من لُطفك الخفيِّ نسمةً تشفي بها مرضَ غفلتي، وانفَحني من عطفك الوفيّ نفحةً طيبة تُطلقُ بها أسري من وثاق شهوتي والحظني واحفظني بعين عنايتك ملاحظةً تُنقذُني بها وتُنجيني بها من بحر الضلالة، وآتني من لدُنك رحمةً في الدنيا والآخرة تبدّلُني بها سعادةً من شقاوةٍ، واسمَع دعائي وعجِّل إجابتي، واقض حاجتي، وعافني، وهب لي من كرمك وجودِك الواسع ما ترزُقني به الإنابة إليك، مع صدق اللجاء وقبول الدعاء، وأهِّلني لقرع بابك بالدعاء يا جوّاد، حتى يتصلَ قلبي بما عندك، وتُبَلّغني بها إلى قصَدك يا خيرَ مقصودٍ وأكرمَ معبودٍ. ابتهالي وتضرُّعي في طلب معونتك، وأتخذُك يا إلهي مَفزَعًا وملجأ أرفع إليك حاجتي ومطالبي وشكوايَ، وأبدي إليك ضُرِّي وأفوّضُ إليك أمري ومناجاتي، وأعتمدُ عليك في جميع أموري وحالاتي.

(اللهم) إني وهذه الليلة خلقٌ من خلقك فلا تَبلُني[25] فيها ولا بعدها بسوءٍ ولا مكروهٍ ولا تقدّر عليّ فيها معصيةً ولا زلّةً ولا تثبت عليّ فيها ذنبًا، ولا تَبلُني فيها إلا بالتي هي أحسنُ، ولا تزيّن لي جراءةً على محارمك، ولا رُكونًا إلى معصيتك، ولا ميلاً إلى مخالفتك، ولا تركًا لطاعتك، ولا استخفافًا بحقّك، ولا شكًّا في رزقك، فأسألك (اللهم) نظرة من نظراتك، ورحمةً من رحماتك، وعطيّةً من عطاياك اللطيفة، وارزُقني من فضلك، واكفني شرَّ خلقك، واحفظ عليّ دين الإسلام، وانظر إلينا بعينك التي لا تنام وآتنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النار (ثلاثا).

(اللهم) إني أسألك من خير ما تعلمُ، وأعوذ بك من شرِّ ما تعلم، وأستغفرُك لما تعلم، إنك أنت علاّم الغيوب. (اللهم) إني أسألك من خير ما تعلم وما لا أعلم، وأستغفرك لما أعلم ولما لا أعلم، (اللهم) إن العلمَ عندك وهو عنّا محجوبٌ، ولا نعلمُ أمرًا فنختارُه لأنفسنا وقد فوّضنا إليك أمورنا، ورفعنا إليك حاجاتنا، ورجوناك لفاقاتنا وفقرنا، فأرشدنا يا الله، وثبتنا ووفّقنا إلى أحبّ الأمور إليك وأحمدها لديك، إنك تحكم بما تشاء، وتفعلُ ما تريد، وأنت على كل شيء قديرٌ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

هذا، وهناك أدعيةٌ أخرُ تركتها خوف الإطالة، وعلى كل حال فليدعُ الإنسان في ليالي شهر رمضان بالمهمات الدنيوية والأخروية، خصوصًا بالدعوات النبوية، ويستحضر ما تيسّر بإخلاص، وبالله التوفيق.

هذا، وقد ألفت رسالة عظيمة الشأن في خصوص وداع شهر رمضان، سميتها «مواهب الكريم المنان، في وداع شهر رمضان» وستطبع إن شاء الله تعالى؛ فيطلبها من أرادها، وبالله التوفيق وبيده الهداية لأقوم الطريق.

---

25 1). بلاه بلوا وبلاء امتحنه.

ما يطلب في عيد الفطر من شوّال

اعلم أن الله سبحانه وتعالى خصّنا من بين سائر الأمم بشهر الصيام والصبر، وغسل به ذنوب الصائمين، كغسل الثوب بماء القطر، ورزقنا بإتمامه صفاء الفكر، ومنّ علينا بعيد الفطر، الذي يومه يوم سعيد، يسعد فيه ناس ويشقي عبيد، يوم يُهَنّى فيه المقبول ويعزَّى فيه المطرود، فالوَيل لمن عمله عليه مردود، وطُوبى لعبدٍ قُبلت فيه أعماله، وحُمدَت خصاله وفِعاله، وقد قيل: «ليس العيد لمن لبِس الجديد، إنما العيد لمن طاعتُه تزيدُ» وكل يوم لا يُعصَى فيه فهو عيد. فالسعيد يوم العيد من يتذكر الوعد والوعيد، ويطلب من موائده سبحانه المزيد، فهو يوم يتفضّل فيه الملِك المجيد، ويعتق الإماء والعبيد، يقول الله تعالى إذا اجتمع المؤمنون لصلاة العيد: «يا ملائكتي، ما جزاء من وفّى عمله؟ فيقولون: يا ربنا، يعطَى أجرتَه. فيقول: أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرتُ لهم».

قال في الإتحاف، وإنما كان يوم العيد من رمضان عيدًا لجميع هذه الأمة إشارةً لكثرة العتق قبله، كما أن يوم النحر هو العيد الأكبر لكثرة العتق في عرَفة قبله؛ إذ لا يومَ يُرى أكثر منه عتقا، فمن أعتق قبله فهو الذي بالنسبة إليه عيد، ومن لا فهو في غاية الإبعاد والوعيد، وليُعلم أن العيد مأخوذ من العَوْد، فسمّي عيدًا لتكرره كل عام، وقيل: لكثرة عوائد الله تعالى فيه على عباده بفضله الموفور، أو لأنه جلّ وعلا يعود على خلقه فيه بالسرور. وقيل: لأن فيه عوائد الإحسان وفوائد الامتنان، إلى غير ذلك مما ذكره العلماء رحمهم الملك.

وصفة صلاة العيد معلومة في كتب الفقه فاطلبها.

روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «زيِّنوا أعيادكم بالتكبير». وكيفيته مشهورة في كتب الفقه.

وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم: «من أحيا ليلتي العيدين أحيا الله قلبه يوم تموت القلوب». وهذا كناية عن نجاته يوم القيامة الذي تموت فيه القلوب - أي تهلِك ولا تَنجُو - وحفظه من سوء الخاتمة. وقال صلى الله تعالى عليه وسلم: «من أحيا الليالي الأربع وجبت له الجنة؛ ليلة التروية، وليلة عرفة، وليلة النحر، وليلة الفطر» أخرجه في الجامع.

وورد في حديث آخر: طلب إحياء ليلة من رجب وليلة نصف من شعبان كما مر. قال الحفني: وأقلّ الإحياء يحصل بصلاة العشاء في جماعة، والعزم على صلاة الصبح فيها، لكن المراد هنا إحياء معظم الليلة بعبادة من صلاة أو ذكر مثلا، ليحصل هذا الفضل العظيم، أعني وجوب - أي ثبوت - الجنة. انتهى. وتقدم حديث: «خمسُ ليال لا تردّ فيهن دعوة: أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الجمعة، وليلتا العيدين». وقال صلى الله تعالى عليه وسلم: «شهر رمضان معلّق بين السماء والأرض فلا يرفع إلى الله تعالى إلا بزكاة الفطر». وحكمُ زكاتها ومن تُخرَج عنه وله مذكور في كتب الفقه فراجعه. وروى أبو أيّوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه: «أنه من صام رمضان وأتبعه بستّ من شوال فكأنما صام الدهر كله».

هذا، والكلام على ذلك كثير، ليس هذا محل بسطه، ولكن نذكر ما يُطلب في العيدين. فمما يُطلب في يومهما ما قاله الونائي في رسالته، وهو: من استغفر في يوم عيد بعد صلاة الصبح (مائة مرة) لا يبقى في ديوانه شيء من الذنوب إلا مُحي عنه، ويكون يوم القيامة آمنًا من عذاب الله. ومن قال: سبحان الله وبحمده (مائة مرة) يوم العيد، وقال: يا ربِّ، إني أعطيت ثوابها أهل القبور، لا يبقى أحد من الأموات إلا يقول يوم القيامة: يا رحيم ارحم عبدك هذا، واجعل ثوابه الجنة. اهـ.

وقال الفشني في «تحفة الإخوان» عن أنس رضي الله تعالى عنه، عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: «زيّنوا العيدين بالتهليل والتقديس، والتحميد والتكبير». وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «من قال سبحان الله وبحمده

(ثلثمائة مرة) وأهداها لأموات المسلمين دخل في كل قبر ألف نور، ويجعل الله تعالى في قبره إذا مات ألف نور.

وقال الزهري: قال أنس: قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «من قال في كل واحد من العيدين: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يُحيي ويُميت، وهو حيّ لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير (أربعمائة مرة) قبل صلاة العيد زوّجه الله تعالى أربعمائة حوراء، وكأنما أعتق أربعمائة رقبة، ووكل الله تعالى به الملائكة يبنون له المدائن، ويغرسون له الأشجار إلى يوم القيامة». قال الزهري: ما تركتها منذ سمعتها من أنس. وقال أنس رضي الله تعالى عنه: ما تركتها منذ سمعتها من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم.

فـــائدة في حكم التهنئة بالعيد

قال القمُولي رحمه الله تعالى: لم أر لأحد من أصحابنا كلامًا في التهنئة بالعيد الأعوام والأشهر كما يفعله بعض الناس؛ لكن نقل الحافظ المنذري عن الحافظ المقدسي أنه أجاب عن ذلك: بأن الناس لم يزالوا مختلفين فيه؛ والذي أراه أنه مباح لا سُنّةٌ ولا بدعة. وأجاب الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بعد اطلاعه على ذلك: بأنها مشروعة. واحتجّ له بأن البيهقي عقد لذلك بابًا فقال: باب ما روي في قول الناس بعضهم لبعضهم: تقبّل الله منا ومنكم. وساق ما ذكر من أخبار وآثار ضعيفة؛ لكن مجموعها يُحتجّ به في مثل ذلك، ثم قال: ويحتج لعموم التهنئة لما يحدث من نعمة أو يندفع من نقمة بمشروعية سجود الشكر، وبما في الصحيحين عن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه في قصّة توبته لما تخلّف عن غزوة تبوك: أنه لما بُشِّر بقبول توبته، ومضى إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قام إليه طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه فهنأه. انتهى. وعليه فالتهنئة مطلوبة مشروعة، ويطلب فيها الدعاء ببقاء المهنَّأ، ودوام النعم والسرور عليه، وإعادة أمثاله عليه. وهكذا كما ستراه ضمنًا في البيتين بعدُ.

وهذا، ولا يخفى أن رسائل التهاني من الأمور الاجتماعية التي تؤسّس قواعد الإخلاص، وتثبت بها رابطة الصداقة «والمحبة موجبة الاختصاص»

وتغرس بذور الائتلاف والولاء، وتوثّق عُرَى الوداد والإخاء، وقد نظمت بيتينَ في التهنئة بالعيد وطبعتهما في بطاقة لتترك في المحل الذي يجاء فيه ولم يوجد صاحبه فتقوم مقام صاحبها عند الزيارة في حالة عدم وجود المزُور، وتكفيه مشقّة العود ثانيا.

لِيَهنِكم عيدٌ يُمن بالسرور بدا * يعودُ دَومًا عليكم جالبًا طربًا

هذا وإذ لم أشِم[1] أنوار طلعتكم * جعلتُ هذا يؤدِّي بعضَ ما وجبَا

جعل الله تعالى أيامنا خير أعيادٍ في طاعة رب العباد، ممتّعين بالعافية والسلامة، بجاه المظلّل بالغمامة، صلى الله تعالى عليه وسلم، وشرّف وعظّمَ وكرّم.

بيان ما يطلب في ذي الحجّة الحرام

اعلم أن شهر ذي الحجة شهر معظّم حرام، وفيه الحجّ الذي هو ركن من أركان الإسلام، شهرٌ معظّمةٌ حرماته، موفورةٌ خيراته تستجاب فيه الدعوات، وتقضى الحاجات، وفيه الليالي العشر التي أقسم الله تعالى بها في كتابه الكريم بقوله: ﴿والفجرِ وليالٍ عشرٍ﴾ فياله منِ قسم عظيم. واختلفوا في المراد بالفجر وبالعشر، فقيل: المرادَ بالفجَر فجرُ كلِّ يوم، واقتصر عليه الجلال السيوطي رحمه الله تعالى في تفسيره، أو فجرُ أول يوم من المحرّم؛ لأنه تتفجَّر منه السنة، أو فجر أول يوم النحر؛ لأن فيه أكثر مناسك الحجّ وفيه القُربات، أو فجر أول يوم من ذي الحجة؛ لأن قرن به الليالي العشر، أو فجر يوم عرفة؛ وهذا قول الأكثر. والمراد بالليالي العشر: عشر ذي الحجة؛ وعليه اقتصر الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في تفسيره. وقيل: هي العشر الأواخر من رمضان، وقيل: العشر الأول من المحرم. وإنما قال: ﴿وليالٍ عشرٍ﴾ بالتنكير لأنها أفضل ليالي السنة. قال الحافظ محمد بن ناصر الدين الدمشقي الشافعي في رسالة له في فضائل عشر ذي الحجة: والقول الأوّل قول الأكثر، وهو: أنه عشر ذي الحجة، وهو

1). شام يشيم: فطر.

26

المشهور الصحيح. ثم سرد أحاديث استدل بها على ذلك إلى أن قال: والأكثرون على أن الفجر فجرُ يوم عرفة، والعشرَ عشرُ ذي الحجة كما تقدم.

وقال أبو عثمان: كانوا يفضلون ثلاث عشرات؛ العشر الأوَل من ذي الحجة، والعشر الأوَل من المحرم، والعشر الأواخر من رمضان. والأخبار مشعرة بتفضيل عشر ذي الحجة على العَشرَين المذكورين، لأن فيه يوم التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر. وفي حديث: «ما من أيام أفضلَ عند الله من عشر ذي الحجة، ولا ليال أفضل من لياليهنّ، وهو خاتم الأشهر المعلومات المذكورة في قوله تعالى: ﴿الحجّ أشهرٌ معلومات﴾ وهي؛ شوّال، وذو القعدة وعشر ذي الحجة. وبعضهم أخرج منه يوم النحر. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ما من أيام أفضل عند الله تعالى من هذه الأيام أيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير، فإنها أيام تهليل وتكبير وذكر لله عز وجل، وأن صيام يوم فيها بعدلِ صيام سنة، والعمل فيهن يضاعف بسبعمائة؛ إلى غير ذلك من الأحاديثَ في مثل ذلك. ثم قال: وجاء أنه يستجاب في هذه العشر الدعاء؛ كما روي عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه: أن الأيام المعلومات هي تسع ذي الحجة غير يوم النحر، وأنه لا يُرد فيهن الدعاء؛ وكيف يرد فيهن الدعاء وفيهن يوم عرفة الذي روي أنه أفضل أيام الدنيا، فيما أخرجه ابن حبّان في صحيحه من حديث جابر رضي الله تعالى عنه مرفوعًا. انتهى باختصار.

هذا، ولنذكر ما اطلعنا عليه من التهليل والأدعية في ذي الحجة، فنقول:

رأيت بخط بعض الأفاضل أنه يُطلب أن يُقرأ كلَّ يوم من عشر ذي الحجة عشر مرات:

لا إله إلا الله عدد الليالي والدُّهور. لا إله إلا الله عدد الأيام والشهور. لا إله إلا الله عدد أمواج البحور. لا إله إلا الله عدد أضعاف الأجور. لا إله إلا الله عدد القطر والمطر. لا إله إلا الله عدد أوراق الشجر. لا إله إلا الله عدد الشّعر والوَبَر. لا إله إلا الله عدد الرمل والحجر. لاَ إله إلا الله عدد الزَّهر والثمر. لا إله إلا الله عدد أنفاس البشر. لا إله إلا الله عدد لمح

العيون. لا إله إلا الله عدد ما كان وما يكون. لا إله إلا الله تعالى عما يشركون. لا إله إلا الله خير مما يجمعون لا إله إلا الله في الليل إذا عسعس. لا إله إلا الله في الصبح إذا تنفَّس. لا إله إلا الله عدد الرِّياح في البراري والصخور. لا إله إلا الله من يومنا هذا إلى يوم يُنفخُ في الصور. لا إله إلا الله عدد خلقه أجمعين. لا إله إلا الله من يومنا هذا إلى يوم الدين. انتهى.

ولا رأيت ذلك الفاضل عزاه أو أسنده إلى أحد؛ بل قال: إن له فضائل كثيرة. ثم رأيت العلامة الونائي رحمه الله تعالى قال في رسالته: روى الطبراني رحمه الله تعالى في معجمه الكبير عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: «من قال في عشر ذي الحجة كل يوم عشر مرات: **لا إله إلا الله عدد الدهور، لا إله إلا الله عدد أمواج البحور، لا إله إلا الله عدد النبات والشجر، لا إله إلا الله عدد القطر والمطر، لا إله إلا الله عدد لمح العيون، لا إله إلا الله خيرٌ مما يجمعون، لا إله إلا الله من يومنا هذا إلى يوم يُنفخُ في الصور، غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر**». انتهى.

قلت: الأحسن أن يقرأ كل منهما على حدته عشر مرات؛ فإنه ربما يكون الأول مرويّا أيضًا فيجمع بين الروايتين. وإذا أراد أن يقتصر فليقتصر على الأخير لأنه الوارد بيقين.

ومما وجدته أيضًا من الأدعية في العشر هذا الدعاء، وهو ما نقلته من خط بعض الصالحين أنه قال: روي عن العلامة الشيخ الحطاب المكي المالكي رحمه الله تعالى ونفع به قال: يطلب أن يكرره الإنسان كل يوم ما تيسّر من غير ضبط عدد معيّن في عشر ذي الحجة إلى يوم النحر لقضاء الدَّين؛ وهو هذا:

(اللهم) فرَجَكَ القريبَ (اللهم) ستركَ الحصينَ (اللهم) معرُوفَك القديمَ (اللهم) عوائدَك الحسنةَ (اللهم) عطاك الحسنَ الجميلَ، يا قديم الإحسان إحسانك القديمَ، يا دائم المعرُوفِ معروفك الدائمَ. انتهى.

ثم رأيت هذا بعينه منسوبًا للعلامة المذكور في كتاب «الإصابة في محلات الإجابة».

وذكر العلامة الشريف ماء العينين في «نعت البدايات وتوصيف النهايات» أن مما يفيد في العام كلمات يكثر منها في عشر ذي الحجة، قال: أعطانيها شيخنا رضي الله تعالى عنه أرضاه، ووجدت في بعض الكتب: أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعلمها الخواص أصحابه، وهي:

حسبيَ الله وكفى، سمع الله لمن دعا، ليس وراءه منتهى، من توكّل على الله كُفِي، ومن اعتصم بالله نجا. انتهى.

دعاء يوم عرفة

ويزيد يوم عرفة: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قديرٌ.**

لما ورد في عدة أحاديث: أن ذلك بعدلِ عتق عشر رقاب، وإن زاد حتى يبلغ ألفًا كان خيرًا.

وفي كتاب «الدعوات لمستغفري» حديثٌ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة يوم عرفة أعطِي ما سأل. ثم يدعو بأدعية عرفة المشهورة المعروفة المذكورة في المناسك، ويكرر كل دعاء ثلاثا. ويفتح دعاءه بالتحميد والتمجيد لله تعالى، والتسبيح والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحيه وسلم. ويختمه بمثل ذلك، وبآمين. وليكثر من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير. وأفضل ذلك ما رواه الترمذي وغيره عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: «أفضل الدعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيّون من قبلي: **لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قديرٌ**».

وفي كتاب الترمذي عن علي رضي الله تعالى عنه قال: أكثر ما دعا به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم عرفة في الموقف:

اللهم لك الحمد كالذي نقولُ، وخيرًا مما نقول، اللهم لك صلاتي

ونسُكي ومحيايَ ومماتي، وإليك مآبي، ولك ربِّ تُراثي، اللهم إني أعوذُ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدرِ وشتاتِ الأمر. اللهم إني أعوذُ بك من شرِّ ما تجيء به الريح.

ومن الأدعية المختارة:

(اللهم) ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (اللهم) إني ظلمتُ نفسي ظلمًا كبيرًا كثيرًا وإنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم (اللهم) اغفر لي مغفرةً من عندك تُصلحُ بها شأني في الدارين، وارحمني رحمةً منك أسعدُ بها في الدارين، وتُب عليّ توبة نصوحًا لا أنكثها أبدًا، وألزمني سبيل الاستقامة لا أزيغُ عنها أبدًا. (اللهم) انقُلني من ذُلِّ المعصية إلَى عزِّ الطاعة، وأغنني بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، ونوِّر قلبي وقبري، وأعِذني منَ الشرِّ كلِّه، واجمع لي الخيرَ كله، استودَعتُك ديني وأمانتي، وقلبي وبدني، وخواتيم عملي، وجميعَ ما أنعمتَ به عليّ وعلى جميع إحبَّائي والمسلمين أجمعين.

وهذا الباب واسعٌ جدًّا؛ لكن نبّهت على أصوله ومقاصده والله تعالى أعلم.

وقد جمع الإمام الغزالي في الإحياء جملة كافية في دعاء عرفة فقال: وليكن أهمّ اشتغاله في يوم عرفة الدعاء؛ ففي مثل تلك البقعة، ومثل ذلك الجمع؛ تُرجَى إجابةُ الدعوات. والدعاء المأثور عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وعن السلف في يوم عرفة أولى ما يدعو به، فليقل:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميتُ وهو حيٌّ لا يموتُ، بيده الخيرُ وهو على كل شيء قديرٌ.

(اللهم) اجعل في قلبي نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي بصري نورًا، وفي

لساني نورًا (اللهم) اشرح لي صدري ويسِّر لي أمري.

وليقل: (اللهم) رب الحمد لك الحمد كما نقولُ وخيرًا مما نقول، لك صلاتي ونسكي ومحيايَ ومماتي، وإليك مآبي وإليك تُراثي. (اللهم) إني أعوذ بك من وساوس الصدر وشتَاتِ الأمر، وعذاب القبر (اللهم) إني أعوذ بك من شرّ ما يلجُ في الليل، ومن شرّ ما يلج في النهار، ومن شرّ ما تهبّ به الرياح، ومن شرّ بوائق الدَّهر. (اللهم) إني أعوذ بك من تحوُّل عافيتك، وفجأة نقمتك وجميع سخطك (اللهم) اهدني بالهدَى، واغفر لي في الآخرة والأولى يا خير مقصُود، وأسنى منْزُول به، وأكرم مسئول ما لديه أعطني العشية أفضلَ ما أعطيتَ أحدًا من خلقك، وحجّاج بيتك يا أرحم الراحمين.

(اللهم) يا رافع الدرجات، ومنزل البركات، ويا فاطرَ الأرَضين والسموات، ضجَّت إليك الأصواتُ بصنوف اللغات، يسألونك الحاجات وحاجتي إليك أن لا تنساني في دار البلَى إذا نسيني أهلُ الدنيا (اللهم) إنك تسمعُ كلامي، وترى مكاني، وتعلَمُ سرِّي وعلانيتي، ولا يخفى عليك شيءٌ من أمري، أنا البائسُ الفقيرُ، المستغيث المستجيرُ، الوجلُ المشفقُ المعترفُ بذنبه أسألك مسألة المسكين، وأبتهلُ إليك ابتهال المذنب الذّليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير، دعاء من خضعتْ لك رقبته، وفاضت لك عبرته، وذلَّ لك جسده، ورغِم لك أنفه (اللهم) لا تجعلني بدعائك رب شقيًّا، وكن بي رؤوفًا رحيمًا، يا خيرَ المسئولين، وأكرم المعطين.

(إلهي) من مدح لك نفسه فإني لائم نفسي (إلهي) أخرست المعاصي لساني فما لي وسيلة من عمل، ولا شفيع سوى الأمل (إلهي) إني أعلمُ أن ذنوبي لم تُبق لي عندك جاهًا، ولا للاعتذار وجهًا، ولكَنك أكرمُ الأكرمين (إلهي) إن لم أكن أهلاً أن أبلغ رحمتك فإنّ رحمتك أهلٌ أن تبلغني، ورحمتك وسعت كلّ شيء وأنا شيء (إلهي) إن ذنوبي وإن كانت عظامًا ولكنها

صغارٌ في جنب عفوك، فاغفرها لي يا كريمُ (إلهي) أنت أنت، وأنا أنا، أنا العوَّادُ إلى الذنَوب، وأنت العوّاد إلى المغفرة (إلهي) إن كنتَ لا ترحم إلا أهل طاعتك، فإلى من يفزَع المذنبون؟ (إلهي) تَجنّبتُ عن طاعتك عمدًا، وتوجهت إلى معصيتك قصدًا، فسبحانك ما أعظمَ حجتك عليّ، وأكرم عفوَك عني، فبوُجوب حجتك عليّ وانقطاع حُجتي عنك وفقري إليك، وغناك عني إلا غفرت لي يا خيرَ من دعاهُ داع، وأفضلَ من رجاه راج بحرمة الإسلام وبذِمة محمد عليه السلام أتوسّل إليك فاغفر لي جميعَ ذنوبي، واصرفني من موقفي هذا مقضيّ الحوائج، وهب لي ما سألتُ، وحقق رجائي فيما تمنّيتُ (إلهي) دعوتك بالدعاء الذي علّمتنيه فلا تحرمني الرجاءَ الذي عرّفتنيه (إلهي) ما أنت صانع العشية بعبدٍ مقرٍّ لك بذنبه؟ خاشع لك بذِلّته، مستكين بجُرمه، متضرّع إليك من عمله، تائب إليك من اقترَافه، مستغفر لك من ظلمة، مبتهل إليك في العفو عنهُ، طالب إليك نجاح حوائجه، راج إليك في موقفه معَ كثرة ذنوبه، فيا ملجأ كلِّ حيّ، ووليّ كل مؤمن، مَن أحسن فبرَحمتك يفوزُ، ومن أخطأ فبخطيئته يهلك (اللهم) إليك خرجنا، وبفنائك أنخنا، وإياك أمَّلنا، وما عندك طلبنا، ولإحسانك تعرَّضنا، ورحمتك رَجونا، ومن عذابك أشفقنا، وإليك بأثقال الذنوب هربنا، ولبيتك الحرام حججنا. يا من يملك حوائج السائلين، ويعلمُ ضمائر الصامتين، يا من ليس معه ربٌّ يُدعَى، ويا من ليس فوقه خالقٌ يُخشَى، ويا من ليس له وزيرٌ يؤتى، ولا حاجبٌ يرشى، يا من لا يزدادُ على كثرة السؤال إلاَّ جُودًا وكرَمًا، وعلى كثرة الحوائج إلاّ تفضيلاً وإحسانًا. (اللهم) إنك جعلتَ لكلِّ ضيف قرًى ونحن أضيافك فاجعل قِرَانًا منك الجنة (اللهم) إن لكل وفد جائزةً، ولكل زائر كرامة، ولكل سائل عطيةً، ولكل راج ثوابًا، ولكلِّ ملتمس لما عندكَ جزاءً، ولكل مسترحم عندك رحمةً، وكل راغب إليك زُلفَى، ولكل متوسّل إليك عفوًا، وقد وفدنا إلى بيتك الحرام، ووقفنا بهذه المشاعر العظام،

وشهدنا هذه المشاهد الكرام، رجاءً لما عندك فلا تخيبْ رجاءنا. (اللهم) تابعتَ النِّعم حتى اطمانت الأنفسُ بتتابع نعمك، وأظهرتَ العبر حتى نطقتِ الصوامتُ بحجتك، وظاهرتَ المنن حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن حقّك، وأظهرتَ الآيات حتى أفصحتِ السموات والأرضون بأدلّتك، وقهرتَ بقدرتك حتى خضع كل شَيء لعزّتك، وعنتِ الوجوهُ لعظمتك. إذا أساء عبادك حلُمت وأمهلت، وإن أحسنوا تفضّلَت وقبلتَ، وإن عصَوا سترتَ، وإذا أقبلنا إليك قرُبت، وإذا ولّينا عنك دعوتَ. (إلهنا) إنك قلتَ في كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين؛ ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف﴾ فأرضاك عنهم الإقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود، وإنا نشهد لك بالتوحيد مُخْبِتِينَ، ولمحمد بالرسالة مخلصين، فاغفِر لنا بهذه الشهادة سوالف الإجرام، ولا تجعل حظّنا فيه أنقص من حظِّ من دخل في الإسلام (إلهنا) إنك أحببت التقرُّب إليك بعتق ما ملكَت أيماننا ونحن عبيدُك، وأنت أولى بالتفضّل فأعتقنا، وإنك أمرتنا أن نتصدّق على فقرائنا ونحن فقراؤك وأنت أحق بالتطوُّل فتصدَّقْ علينا، ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمْنا أنفسنا وأنت أحقّ بالكرمِ فاعف عنا، ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا، ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا برحمتك عذاب النار.

دعاء الخضر عليه السلام

وليكثِر من دعاء الخضر عليه السلام، وهو أن يقول:

يا من لا يشغَلُه شأنٌ عن شأن، ولا سمع عن سمع، ولا تشتبه عليه الأصواتُ، يا من لا تُغلّطه المسائل، ولا تختلف عليه اللغات، يا من لا يُبْرِمه إلحاحُ الملِحِّين، ولا تضجره مسألة السائلين، أذِقنا بَردَ عفوِك وحَلاوة مناجاتك.

وليدع بما بدا له، وليستغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات، وليلحَّ في

الدعاء، وليعظم المسئلة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء. انتهى كلام الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا ولوالدينا ولمشايخنا ولأصحاب الحقوق علينا، ولمن أوصانا بالدعاء، ولمن أحسنَ إلينا والمسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثم إذا كان يوم النحر وهو يوم عيد الأضحى فليأت بما ذكرناه في عيد الفطر فلا تغفل، وبالله التوفيق.

ثم اعلم، أني نقلتُ في أوّل هذه الرسالة عن الدَّيربي عن سبط ابن الجوزي عن عمر بن قدامة المقدسي دعاء لأول العام، ودعاء لآخره، وقال: ما زال مشايخنا يوصون به ويقرءونه وما فاتني طول عمري. فأما دعاء أول العام فقد ذكرته ثَمَّةَ.

وأما دعاء آخر العام

وهو آخر يوم من ذي الحجة الحرام، فهو هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (اللهم) ما عملتُ من عملٍ في السنة الماضية ولم تَرضَه، ونسيته ولم تنسَه، وحلُمتَ عني مع قدرتك على عقوبتي؛ ودعوتني إلى التوبة بعد جراءتي عليك (اللهم) إني أستغفرك منه فاغفر لي (اللهم) وما عملتُ من عمل ترضاه ووعدتني عليه الثواب والغفران فتقبّله منّي، ولا تقطع رجائي منك يا كريمُ يا أرحم الراحمين؛ وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

يقرأ ثلاثًا؛ فإن الشيطان يقول: تعبنا معه طول السنة، وأفسد فعلنا في ساعة واحدة.

هذا آخر ما يسّره المولى الشكور من ذكر أدعية بعض أيام من أغلب

الشهور، وهو ما اطلعت عليه ووقع نظري إليه، فمن وجد شيئًا من الأدعية والفوائد تتعلق بما ذكرناه فليلحقُه به ليؤجَرَ بذلك عند الله، إذ القصد نفع إخواننا المسلمين، ووصول الخير للمؤمنين، لعلِ الله ينفعني به في الدارين، ويحشرني به في زُمرة سيد الكونين ﷺ وزاده فضلاً وشرفًا لديه.

وكان الفراغ من جمع هذه الرسالة بعون الله مستهل السير في يوم الجمعة المبارك غرة صفر الخير عام ثمانية وعشرين وثلثمائة وألف من هجرة من وصفه الله تعالى بأكمل وصف، صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وقد أعدت نظري على هذه الورقات، فزدت عليها بعض زيادات، أدام الله تعالى نفعها، وعظم في القلوب وقعها، وذلك عام تبييضها الناجز المبارك إن شاء العلام في غرة ذي القعدة الحرام، وهو عام ألف وثلثمائة وتسعة وعشرين من هجرة سيد المرسلين، صلى الله تعالى عليه وعليهم وآل كلٍّ وصحبه أجمعين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

هذا، وقد قرّظ هذه الرسالة أعلام جهابذة من العلماء. منهم: العلامة الشيخ محمد سعيد بابصيل «مفتي الشافعية» بمكة المكرمة، والعلامة السيد عمر بن محمد شطا، والعلامة السيد حسين بن محمد الحبشي «مفتي الشافعية» بمكة المكرمة، والعلامة الشريف محمد بن إدريس القادري الحسني، والعلامة الشمس الشنقيطي، والعلامة الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني، والعلامة الشيخ عمر حمدان رحمهم الله أجمعين.

وقام بتصحيح طبع هذه الرسالة

الشيخ أحمد عبد العليم البردوني من علماء الأزهر

وكان الفراغ من طبعها في 02 شوال 3831هـ

الموافق 4 مارس 4691م

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين

أذكار مأثورة تقال في الصباح والمساء

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. إياك نعبد وإياك نستعين. إهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. آمين.

(أستغفر الله) لي وللمسلمين، أستغفر الله لي وللمذنبين، أستغفر الله لي وللخلق أجمعين، أستغفر الله غفار الذنوب، أستغفر الله ستار العيوب، أستغفر الله حتى نقلع عن المعاصي ونتوب، أستغفر الله حياء من الله، أستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(سبحان) فالق الإصباح، سبحان رب المساء والصباح، سبحان من يسبح له ما في الأرض وما في السماء، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(اللهم) لك الحمد حمدًا دائمًا عند كل طرفة عين وتنفس نفس (اللهم) لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، الحمد لله حمدًا يوافي نعمه ويكافي مزيده.

أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين، وأمسنا وأمسى الملك لله رب العرش العظيم (اللهم) بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور (اللهم) اجعل صباحنا صباح الصالحين، ومساءنا مساء الصالحين (اللهم) ارزقنا خير الصباح وخير المساء وخير القضاء وخير القدر، ونعوذ بك من شر الصباح وشر المساء وشر القضاء وشر القدر، أصبحنا في أمان الله، وأمسينا في جوار الله.

(سبحان) الأبديّ الأبد، سبحان الواحد الأحد، سبحان الفرد الصمد، سبحان من رفع السماء بلا عمد، سبحان من بسط الأرض على

ماء جمد، سبحان من خلق الخلق فأحصاهم عددًا، سبحان من قسم الرزق بين خلقه ولم ينس أحدًا، سبحان الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا سبحان الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

(اللهم) اجعل أول يومنا هذا صلاحًا، وأوسطه نجاحًا، وآخره فلاحًا يا أرحم الراحمين، اللهم انقلنا من ذل المعصية إلى عزّ الطاعة، اللهم أعزنا بطاعتك ولا تذلنا بمعصيتك، اللهم أمتنا على الإسلام والإيمان الكامل، اللهم لا تفضحنا يوم القيامة، اللهم نجنا من النار، اللهم أدخلنا الجنة، اللهم إنا نسألك الهدى والتُّقى والعفافَ والغنَى، اللهم اجعل في قلبي نورًا وفي لساني نورًا، واجعل في بصري نورًا واجعل من خلفي نورًا، ومن أمامي نورًا، اللهم أعطني نورًا.

بسم الله ما شاء الله، لا يسوق الخير إلا الله، بسم الله ما شاء الله، لا يصرف السوء إلا الله، بسم الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله، بسم الله ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم. بسم الله خير الأسماء، بسم الله رب الأرض والسماء، بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، بسم الله على ديني ونفسي، بسم الله على مالي وأولادي، بسم الله على كل شيء أعطانيه ربي.

(يا لطيف) الطف بنا فيما جرت به المقادير (ثلاثا). (اللهم) لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف به (ثلاثا). (اللهم) لك الحمد منك الفرج وإليك المشتكى وبك المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، اللهم ارزقنا رزقًا واسعًا نصون به وجوهنا عن التعرّض لسؤال خلقك. الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القويّ العزيز. إن هذا لرزقنا ماله من نفاد. إن الله يرزق من يشاء بغير حساب. إن الله هو الرزاق ذو القوّة المتين، الحمد لله الذي لم يجعل رزقي في يد غيره. اللهم يا لطيفًا بخلقه، يا عليمًا بخلقه، يا خبيرًا بخلقه، الطف بنا يا لطيف يا عليمُ يا خبيرُ.

حسبي الله لديني، حسبي الله لما أهمني، حسبي الله لمن بغى عليّ، حسبي الله لمن حسدني، حسبي الله لمن كادني، حسبي الله عند الموت، حسبي الله عند المسألة في القبر، حسبي الله عند الحساب، حسبي الله عند الميزان، حسبي الله عند الصراط، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكّلت وإليه أنيب.

لا إله إلا الله الملك الحق المبين، سيدنا محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير (عشرات مرات)

ظهرت كلمات الله، وأشرقت أنوار الله، وخشعت الأصوات، وشخصت الأبصار، وذلت الرقاب، وقيل بعدًا للقوم الظالمين.

يا الله (عشر مرات) اللهم احجبنا عن جميع أصناف الجن والمردة والشياطين وجنود إبليس أجمعين (ثلاثا)، يا الله (عشر مرات) توكّلنا على الله واعتصمنا بالله واستجرنا برسول الله ﷺ (ثلاثا) يا الله (عشر مرات) أعددت لكل هول وشدّة لا إله إلا الله، ولكل هم وغم ما شاء الله، ولكل نعمة الحمد لله، ولكل رجاء الشكر لله، ولكل أعجوبة سبحان الله، ولكل ذنب أستغفر الله، ولكل ضيق حسبي الله، ولكل مصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون، ولكل قضاء وقدر توكّلت على الله، ولكل طاعة ومعصية لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، يا الله (عشر مرات).

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد الهادي لأنوارك، الجامع لأسرارك، الدال عليك، الموصل إليك، صلاة ينفرج بها كل ضيق وتعمير، وينال بها كل خير وتيسير، وتشفينا من الأوجاع والأسقام، وتخلصنا من المخاوف والأوهام، وتحفظنا في اليقظة والمنام، وتنجينا من نوائب الدهر ومتاعب الأيام، وعلى آله هداة الإسلام، وأصحابه السادة الأعلام، وأزواجه الطاهرات وآله الكرام، واجمعنا عليه يا ربنا في أعلى مقام، وارزقنا يا مولانا في جواره حسن الختام.

لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله (ثلاثا) لا إله إلا الله والله أكبر (أربع مرات) لا إله إلا الله محمد رسول الله عليها نحيا وعليها نموت، وعليها نبعث إن شاء الله آمين (ثلاثا) سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

ثم تختم ذلك بالفاتحة لحضرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه وآل بيته ولمن سبقونا بالإيمان ولكل من كان على القدم المحمدي.

الغنية

لطالبي طريق الحق عز وجل

(في الأخلاق والتصوف والآداب الإسلامية)

تأليف

الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني

المتوفى سنة ٥٦١ هـ

مجلس
فى فضل شهر شعبان
وما ينزل فى ليلة النصف من المغفرة والرضوان

أخبرنا الشيخ أبو نصر محمد، عن و الده أبى على الحسين ، أخبرنا أبو الحسين على بن أحمد بن عمر بن حفص جعفر المقرى بإفتاء أبى الفتح الحافظ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعى، أخبرنا إسحاق بن الحسن، أخبرنا عبد الله بن سلمة، أخبرنا مالك بن أنس ، عن أبى النضر ـ مولى عمر بن عبد الله ـ عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة زوج النبى ﷺ ورضى عنها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان، وما رأيته صام فى شهر أكثر من صيامه فى شعبان» وهو حديث صحيح أخرجه البخارى[1] عن عبد الله بن يوسف، عن مالك رحمه الله.

وأخبرنا أبو نصر عن محمد عن والده بإسناده عن هشام بن عروة، عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وكان أحب صيامه فى شعبان، فقلت: يا رسول الله ما لى أرى صيامك فى شعبان؟ فقال ﷺ: يا عائشة إنه شهر ينسخ لملك الموت فيه اسم من يقبض روحه فى بقية العام فأنا أحب ألا ينسخ اسمى إلا وأنا صائم»[2].

وأخبرنا أبو نصر عن محمد عن والده بإسناده عن عطاء بن يسار، عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: «لم يكن رسول الله ﷺ يصوم فى شهر بعد رمضان أكثر من صيامه فى شعبان»[3].

وذلك أن كل من يموت فى تلك السنة ينسخ اسمه فى شعبان من الأحياء إلى الأموات، وإن الرجل ليسافر وقد نسخ اسمه فيمن يموت.

---

(١) فى الصوم: ب (٥٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) النسائى ٤/ ٢٠٠.

وحدثنا أبو نصر عن والده بإسناده عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال: «سئل النبى ﷺ عن أفضل الصيام قال: صيام شعبان تعظيمًا لرمضان»[1].

وأخبرنا أبو نصر عن والده بإسناده عن معاوية بن الصالح قال: إن عبد الله بن قيس حدثه أنه سمع عائشة رضى الله عنها تقول: «كان أحب الشهور إلى رسول الله ﷺ شعبان يصله برمضان».

وقال عبد الله رضى الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «من صام آخر يوم إثنين من شعبان غفر له»[2] يعنى آخر إثنين فيه، لا آخر يوم من الشهر، لأن استقبال الشهر باليوم واليومين فيه منهى عنه.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما سمى شعبان لأنه ينشعب لرمضان فيه خير كثير، وإنما سمى رمضان لأنه يرمض الذنوب»[3].

(فصل) قال الله تعالى: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ [القصص:٦٨].

فالله تعالى اختار من كل شىء أربعة، ثم اختار من الأربعة واحدًا.

اختار من الملائكة أربعة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، ثم اختار منهم جبريل.

واختار من الأنبياء عليهم السلام أربعة: إبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا ﷺ أجمعين، ثم اختار منهم محمدًا ﷺ.

واختار من الصحابة رضى الله عنهم أربعة: أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا رضى الله عنهم، ثم اختار منهم أبا بكر رضى الله عنه.

ومن المساجد أربعة: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد المدينة المشرفة ومسجد طور سيناء، ثم اختار منها المسجد الحرام.

ومن الأيام أربعة: يوم الفطر ويوم الأضحى ويوم عرفة ويوم عاشوراء، ثم اختار منها يوم عرفة.

ومن الليالى أربعة: ليلة البراءة وليلة القدر وليلة الجمعة وليلة العيد، ثم اختار منها

---

(١) ابن أبى شيبة ٣/ ١٠٣، والكنز (٢٤٢٩٢)، والعلل المتناهية ٢/ ٦٥.

(٢) أمالى الشجرى ٢/ ١٠٢.

(٣) الكنز (٣٥١٧٣).

ليلة القدر.

ومن البقاع أربعة: مكة، والمدينة، وبيت المقدس، ومساجد العشائر، ثم اختار منها مكة.

ومن الجبال أربعة: أحدًا، وطور سيناء، ولكام، ولبنان، ثم اختار منها طور سيناء.

ومن الأنهار أربعة: جيحون، وسيحون، والفرات، والنيل، ثم اختار منها فراتًا.

واختار من الشهور أربعة: رجب وشعبان ورمضان والمحرم، واختار منها شعبان، وجعله شهر النبي ﷺ فكما أن النبي ﷺ أفضل الأنبياء كذلك شهره أفضل الشهور.

وقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «شعبان شهرى، ورجب شهر الله، ورمضان شهر أمتى، شعبان هو المكفّر، ورمضان هو المطهر»(١).

وقال ﷺ: «شعبان شهر بين رجب ورمضان يغفل الناس عنه، وفيه ترفع أعمال العباد إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم»(٢).

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: أن النبى ﷺ قال: «فضل رجب على سائر الشهور كفضل القرآن على سائر الكلام، وفضل شعبان على سائر الشهور كفضلى على سائر الأنبياء، وفضل رمضان على سائر الشهور كفضل الله تعالى على سائر خلقه»(٣).

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: «كان أصحاب النبى ﷺ إذا نظروا إلى هلال شعبان أكبوا على المصاحف يقرؤونها، وأخرج المسلمون زكاة أموالهم ليتقوى بها الضعيف والمسكين على صيام شهر رمضان، ودعا الولاة أهل السجن، فمن كان عليه حد أقاموه عليه وإلا خلّوا سبيله، وانطلق التجار فقضوا ما عليهم وقبضوا ما لهم، حتى إذا نظروا إلى هلال رمضان اغتسلوا واعتكفوا».

(فصل) شعبان خمسة أحرف، شين وعين وباء وألف ونون، فالشين من الشرف، والعين من العلو، والباء من البر، والألف من الألفة، والنون من النور، فهذه العطايا

---

(١) تبيين العجب (٣٤).

(٢) الكنز (٣٥١٧١).

(٣) تنزيه الشريعة ٢/ ١٦٠، وتبيين العجب (٣٨).

من الله تعالى للعبد فى هذا الشهر.

وهو شهر تفتح فيه الخيرات، وتنزل فيه البركات، وتترك فيه الخطيئات، وتكفر فيه السيئات، وتكثر فيه الصلوات على محمد ﷺ خير البريات.

وهو شهر الصلاة على النبى المختار، قال الله تعالى: ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا**﴾ [الأحزاب:٥٦].

فالصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الشفاعة والاستغفار ومن المؤمنين الدعاء والثناء.

وقال مجاهد رحمه الله: الصلاة من الله التوفيق والعصمة، ومن الملائكة العون والنصرة، ومن المؤمنين الاتباع والحرمة.

وقال ابن عطاء: الصلاة على النبى ﷺ من الله تعالى الوصلة، ومن الملائكة الرقة، ومن المؤمنين المتابعة والمحبة.

وقال غيره: صلاة الرب تبارك وتعالى على نبيه ﷺ تعظيم الحرمة، وصلاة الملائكة عليه ﷺ إظهار الكرامة، وصلاة الأمة عليه ﷺ طلب الشفاعة، وقد قال ﷺ: «من صلى علىَّ مرة صلى الله عليه عشرًا»(١).

فينبغى لكل مؤمن لبيب ألا يغفل فى هذا الشهر، بل يتأهب فيه لاستقبال شهر رمضان بالتطهر من الذنوب والتوبة عما فات وسلف فيما مضى من الأيام، فيتضرع إلى الله تعالى فى شهر شعبان، ويتوسل إلى الله تعالى بصاحب الشهر محمد ﷺ حتى يصلح فساد قلبه، ويداوى مرض سره، ولا يسوف ويؤخر ذلك إلى غد، لأن الأيام ثلاثة: أمس وهو أجل، واليوم وهو عمل، وغدًا وهو أمل، فلا تدرى هل تبلغه أم لا، فأمس موعظة، واليوم غنيمة، وغدًا مخاطرة.

وكذلك الشهور ثلاثة: رجب فقد مضى وذهب فلا يعود، ورمضان وهو منتظر لا تدرى هل تعيش إلى إدراكه أم لا؟ وشعبان وهو واسطة بين شهرين فليغتنم الطاعة فيه.

وقد قال النبى ﷺ لرجل وهو يعظه، قيل هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك

(١) مسلم فى الصلاة (٧٠)، والنسائى ٣/ ٥٠، وأحمد ٢/ ٣٧٢.

قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»[1].

(فصل: فى ليلة البراءة: وما خصت به من الكرامة والفضائل)

قال الله عز وجل:

﴿حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه فى ليلة مباركة﴾ [الدخان: ١ - ٣].

قال ابن عباس رضى الله عنهما: **﴿حم﴾** يعنى قضى الله ما هو كائن إلى يوم القيامة **﴿والكتاب المبين﴾** يعنى القرآن **﴿إنا أنزلناه﴾** يعنى القرآن **﴿فى ليلة مباركة﴾** هى ليلة النصف من شعبان وهى ليلة البراءة، وقال ذلك أكثر المفسرين سوى عكرمة فإنه قال: هى ليلة القدر.

وقد سمى الله تعالى أشياء فى القرآن مباركًا:

- منها سمى القرآن مباركًا، قال: **﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾** [الأنبياء: ٥٠] فمن بركته أن من قرأه وآمن به اهتدى، وتخلص من النار ولظى، حتى يتعدى ذلك إلى الآباء والأبناء، قال النبى ﷺ: «من قرأ القرآن نظرًا فى المصحف خفف الله عز وجل عن أبويه العذاب وإن كانا كافرين»[2].

- ومنها أنه عز وجل سمى الماء مباركًا قال: **﴿ونزلنا من السماء ماء مباركًا﴾** [ق: ٩] فمن بركته أن حياة الأشياء به؛ كما قال الله عز وجل: **﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون﴾** [الأنبياء: ٣٠].

وقيل فيه عشر لطائف: الرقة، واللين، والقوة، واللطافة، والصفاوة، والحركة، والرطوبة، والبرودة، والتواضع، والحياة، وجعل الله تعالى هذه اللطائف فى المؤمن اللبيب: رقة القلب، ولين الخلق، وقوة الطاعة، ولطافة النفس، وصفاوة العمل، والحركة فى الخير، والرطوبة فى العين، والبرودة فى المعاصى، والتواضع عند الخلق، والحياة عند استماع الحق.

- ومنها أنه عز وجل سمى الزيتون مباركًا فى قوله تعالى: **﴿من شجرة مباركة زيتونة﴾** [النور: ٣]. وهى أول شجرة أكل منها آدم عليه السلام حين أهبط إلى الأرض،

---

(١) الكنز (٤٣٤٩٠)، وابن أبى شيبة ١٢/٢٢٣، والحاكم ٤/٣٠٦، والإتحاف ١٠/١٥١.

(٢) ابن عدى ٦/٢٢٢٦.

وفيها طعام واستضاءة كما قال الله تعالى: ﴿وصبغ للآكلين﴾ [المؤمنون: ٢٠].

وقيل الشجرة المباركة هو إبراهيم عليه السلام، وقيل هو القرآن وقيل هو الإيمان، وقيل هى نفس المؤمن المطمئنة الأمّارة بالخير الممتثلة للأمر، المنتهية للنهى، المسلمة للقدر، الموافقة للرب فيما قضى وسطر.

ـ ومنها أنه عز وجل سمى عيسى عليه السلام مباركًا قال تعالى: ﴿وجعلنى مباركًا أين ما كنت﴾ [مريم: ٣١] فمن بركته عليه السلام ظهور الثمرة من النخلة اليابسة لأمه الصدّيقة مريم عليهما السلام، ونبع الماء من تحته، قال عز وجل: ﴿فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريًا * وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا * فكلى واشربى وقرى عينًا﴾ [مريم: ٢٤ ـ ٢٦] وأبرأ الأكمه والأبرص، وأحيا الموتى بدعوته وغير ذلك من الخير والمعجزات.

ـ ومنها أنه عز وجل سمى الكعبة مباركًا قال عز وجل: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركًا﴾ [آل عمران: ٩٦].

ومن بركاتها أن من دخلها وعليه أثقال من الذنوب خرج مغفورًا له، قال الله تعالى: ﴿ومن دخله كان آمنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] فمن دخل البيت وهو مؤمن محتسب تائب أمنه الله عذابه وقبل توبته وغفر له.

وقيل من دخله كان آمنًا من أن يؤذى فى الحرم حتى يخرج منه، ولهذا يحرم قتل صيده وقطع شجره لحرمة الكعبة، فحرمة الكعبة لحرمة الله، وحرمة المسجد لحرمة الكعبة، وحرمة مكة لحرمة المسجد، وحرمة الحرم لحرمة مكة.

كما قيل: إن الكعبة قبلة لأهل المسجد، والمسجد قبلة لأهل مكة، ومكة قبلة لأهل الحرم، والحرم قبلة لأهل الأرض.

وإنما سماها بكة لأن الأقدام تبك بعضها بعضًا: أى تدفع وتدرأ، وبكة ومكة واحد تبدل أحدهما بالأخرى، ككمد وكبد، ولازم ولازب.

ـ ومنها سمى ليلة البراءة مباركة لما فيها من نزول الرحمة والبركة والخير والعفو والغفران لأهل الأرض.

ومن ذلك ما أخبرنا الشيخ أبو نصر عن والده، قال: أخبرنا محمد، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد، أخبرنا إسماعيل بن عمر البجلى، أخبرنا عمر بن موسى الوجيهى،

عن زيد بن على عن آبائه، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «ينزل الله تعالى فى ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لكل مسلم إلا لمشرك أو مشاحن أو قاطع رحم أو إمرأة تبغى فى فرجها»(١).

وأخبرنا أبو نصر عن والده بإسناده عن يحيى بن سعيد، عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت: «لما كانت ليلة النصف من شعبان انسل النبى ﷺ من مرطى، ثم قالت: والله ما كان مرطى من حرير ولا قز ولا كتان ولا خز ولا صوف.

قال: قلت لها: سبحان الله فمن أى شىء كان؟ قالت: كان سداؤه من شعر وكانت لحمته من وبر، وأحسب نفسى أن يكون ﷺ قد أتى بعض نسائه، فقمت فالتمسته فى البيت فوقعت يدى على قدميه وهو ساجد، فحفظت من دعائه ﷺ وهو يقول: سجد لك سوادى وخيالى، وآمن بك فؤادى، أبوء لك بالنعم وأعترف لك بالذنب، ظلمت نفسى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أعوذ بعفوك من عقوبتك، وأعوذ برحمتك من نقمتك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

قالت: فما زال ﷺ قائمًا وقاعدًا حتى أصبح وقد أصعدت، يعنى انتفخت قدماه وأنا أغمزها وأقول: بأبى أنت وأمى أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، أليس قد فعل الله بك، أليس أليس؟.

قال ﷺ: يا عائشة أفلا أكون عبدًا شكورًا؟ هل تدرين ما فى هذه الليلة؟ قالت: قلت: وما فيها؟ قال: فيها يكتب كل مولود فى هذه السنة، وفيها يكتب كل ميت، وفيها تنزل أرزاقهم، وفيها ترفع أعمالهم وأفعالهم.

قلت: يا رسول الله ما أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله؟ قال ﷺ: ما أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله.

قلت: ولا أنت؟ قال ﷺ: ولا أنا، إلا أن يتغمدنى الله برحمته، فمسح يده على هامته وعلى وجهه»(٢).

وأخبرنى أبو نصر، قال: أنبأنا والدى، حدثنا محمد بن أحمد الحافظ، أنبأنا عبد الله

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٧.

(٢) البخارى ٢/ ٦٣، وأحمد ٤/ ٢٥١، والنسائى ٣/ ٢١٩.

ابن محمد، أنبأنا أبو العباس الهروى وإبراهيم بن محمد بن الحسن، قال: أخبرنا أبو عامر الدمشقى، أنبأنا الوليد بن مسلم، أخبرنى هشام بن الغار وسليمان بن مسلم وغيره، عن مكحول، عن عائشة رضى الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال لها: «يا عائشة أية ليلة هى؟.

قالت: الله ورسوله أعلم، فقال: ليلة النصف من شعبان، فيها ترفع أعمال الناس، ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعر غنم كلب، فهل أنت أذنت لى الليلة؟ قالت: قلت: نعم، فصلى فخفف القيام وقرأ الحمد وسورة خفيفة، ثم سجد إلى شطر الليل، ثم قام فى الركعة الثانية، فقرأ فيها نحواً من قراءة الأولى، فكان سجوده إلى الفجر.

قالت عائشة رضى الله عنها: أنظره حتى ظننت أن الله تعالى قد قبض روح رسوله ﷺ، فلما طال علىَّ دنوت منه حتى مسست أخمص قدميه، فتحرك فسمعته يقول فى سجوده: أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك،، جل وجهك لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

قلت: يا رسول الله قد سمعتك تذكر فى سجودك الليلة شيئًا ما سمعتك تذكره قط، قال ﷺ: وعلمت ذلك؟ قلت: نعم، قال ﷺ: تعلميهن وعلميهن، فإن جبريل عليه السلام أمرنى أن أذكرهن فى السجود».

وأخبرنى أبو النصر عن والده، قال: أنبأنا عبد الله بن محمد، أنبأنا إسحاق بن أحمد الفارسى، أنبأنا أحمد بن الصباح بن أبى شريح، أنبأنا يزيد بن هارون، حدثنا الحجاج بن أرطاة، عن يحيى بن أبى كثير، عن عروة، عن عائشة رضى الله عنها قالت: «فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة، فخرجت فإذا هو بالبقيع رافعًا رأسه إلى السماء، فقال لى: أكنت تخافين أن يحيف الله ورسوله عليك؟ فقلت له: يا رسول الله ظننت أنك أتيت بعض نسائك، فقال ﷺ: إن الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا، فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب»[1].

وعن عكرمة مولى ابن عباس رحمه الله ورضى الله عنهما فى قول الله تعالى: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ [الدخان: ٤] قال: «هى ليلة النصف من شعبان، يدبر الله تعالى أمر السنة، وينسخ الأحياء من الأموات، ويكتب حاج بيت الله، فلا يزيد فيهم أحد ولا

(١) الترمذى (٧٣٩)، وأحمد ٦/ ٢٣٨، والبيهقى (١٣٨٩).

ينقص منهم أحد».

وقال حكيم بن كيسان: يطلع الله تعالى إلى خلقه فى ليلة النصف من شعبان، فمن طهره فى تلك الليلة زكاه إلى مثلها.

وقال عطاء بن يسار: يعرض عمل السنة فى ليلة النصف من شعبان، فيخرج الرجل مسافرًا وقد نسخ من الأحياء إلى الأموات، ويتزوج وقد نسخ من الأحياء إلى الأموات.

وأخبرنى أبو نصر عن والده بإسناده، عن مالك بن أنس، عن هشام بن عروة، عن عائشة رضى الله عنها قالت: سمعت النبى ﷺ يقول: «يفتح الله الخير فى أربع ليال سحًا، ليلة الأضحى، وليلة الفطر، وليلة النصف من شعبان ينسخ الله فيها الآجال والأرزاق، ويكتب فيها الحاج، وليلة عرفة إلى الأذان»[1].

قال سعيد، قال لى إبراهيم بن أبى نجيح: هى خمس ليال فيها ليلة الجمعة.

وروى أبو هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «جاءنى جبريل عليه السلام ليلة النصف من شعبان وقال لى: يا محمد ارفع رأسك إلى السماء، قال: قلت له: ما هذه الليلة؟ قال: هذه الليلة يفتح الله سبحانه فيها ثلاثمائة باب من أبواب الرحمة، يغفر لجميع من لا يشرك به شيئًا، إلاَّ أن يكون ساحرًا أو كاهنًا أو مدمن خمرٍ أو مصرًا على الربا والزنا، فإن هؤلاء لا يغفر لهم حتى يتوبوا.

فلما كان ربع الليل نزل جبريل عليه السلام وقال: يا محمد ارفع رأسك، فرفع رأسه فإذا أبواب الجنة مفتوحة، وعلى الباب الأول ملك ينادى: طوبى لمن ركع فى هذه الليلة، وعلى الباب الثانى ملك ينادى: طوبى لمن سجد فى هذه الليلة، وعلى الباب الثالث ملك ينادى: طوبى لمن دعا فى هذه الليلة، وعلى الباب الرابع ملك ينادى: طوبى للذاكرين فى هذه الليلة، وعلى الباب الخامس ملك ينادى: طوبى لمن بكى من خشية الله فى هذه الليلة، وعلى الباب السادس ملك ينادى: طوبى للمسلمين فى هذه الليلة، وعلى الباب السابع ملك ينادى: هل من سائل فيعطى سؤله؟ وعلى الباب الثامن ملك ينادى: هل من مستغفر فيغفر له؟ فقلت: يا جبريل إلى متى تكون هذه الأبواب مفتوحة؟ قال: إلى طلوع الفجر من أول الليل، ثم قال: لله تعالى فيها عتقاء من النار بعدد شعر غنم كلب».

---

(١) الدر المنثور ٦/٢٦.

(فصل) وقد سميت ليلة البراءة لأن فيها براءتين، براءة للأشقياء من الرحمن، وبراءة للأولياء من الخذلان.

وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا كان ليلة النصف من شعبان اطلع الله على خلقه فيغفر للمؤمنين، ويمهل الكافرين، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه»[1].

وقيل: إن للملائكة ليلتى عيد فى السماء، كما أن للمسلمين يومى عيد فى الأرض، فعيد الملائكة ليلة البراءة وليلة القدر، وعيد المؤمنين يوم الفطر ويوم الأضحى، وعيد الملائكة بالليل لأنهم لا ينامون، وعيد المؤمنين بالنهار لأنهم ينامون.

وقيل: إن الحكمة فى أن الله تعالى أظهر ليلة البراءة وأخفى ليلة القدر، لأن ليلة القدر ليلة الرحمة والغفران والعتق من النيران، أخفاها الله عز وجل لئلا يتكلوا عليها، وأظهر ليلة البراءة لأنها ليلة الحكم والقضاء، وليلة السخط والرضا، ليلة القبول والرد والوصول والصد، ليلة السعادة والشقاء والكرامة والنقاء.

فواحد فيها يسعد والآخر فيها يبعد، وواحد يجزى وواحد يخزى، وواحد يكرم وآخر يحرم، وواحد يؤجر وآخر يهجر، فكم من كفن مغسول وصاحبه فى السوق مشغول، وكم من قبر محفور وصاحبه بالسرور مغرور، وكم من فم ضاحك وهو عن قريب هالك، وكم من منزل كمل بناؤه وصاحبه قد أزف يعنى قرب فناؤه، وكم من عبد يرجو الثواب فيبدو له العقاب، وكم من عبد يرجو البشارة فتبدو له الخسارة، وكم من عبد يرجو الجنان فتبدو له النيران، وكم من عبد يرجو الوصل فيبدو له الفصل، وكم من عبد يرجو العطاء فيبدو له البلاء، وكم من عبد يرجو الملك فيبدو له الهلك.

وقيل: إن الحسن البصرى رحمه الله كان يخرج من داره يوم النصف من شعبان، وكأن وجهه قد قبر ودفن، ثم أخرج من قبره، فقيل له فى ذلك، فقال: والله ما الذى انكسرت سفينته بأعظم مصيبة منى، قيل له: ولم ذلك؟ قال: لأنى من ذنوبى على يقين، ومن حسناتى على وجل، فلا أدرى اتقبل منى أم ترد على.

(فصل) فأما الصلاة الواردة فى ليلة النصف من شعبان فهى:

مائة ركعة بألف مرة ﴿قل هو الله أحد...﴾ فى كل ركعة عشر مرات، وتسمى هذه

---

(١) الإتحاف ١٠/ ٢٨٢، والكنز (٣٥١٧٥)، والدر المنثور ٦/ ٢٦.

الصلاة صلاة الخير وتعرف بركتها.

وكان السلف الصالح يصلونها جماعة يجتمعون لها، وفيها فضل كثير وثواب جزيل.

وروى عن الحسن رحمه الله أنه قال: حدثني ثلاثون من أصحاب رسول الله ﷺ: أن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة، وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة، أدناها المغفرة.

ويستحب أن تصلى هذه الصلاة أيضًا في الأربع عشر ليلة التي يستحب إحياؤها التي ذكرناها في فضائل رجب، ليحوز بها المصلي هذه الكرامة وهذه الفضيلة والمثوبة.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس: فى فضائل شهر رمضان

قال الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون...﴾ [البقرة:١٨٣] إلى قوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ [البقرة:١٨٥].

قال الحسن البصرى رحمه الله: إذا سمعت الله تعالى يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فأسرع لها سمعك فإنها لأمر تؤمر به أو لنهى تنهى عنه.

وقال جعفر الصادق رحمه الله: لذة ما فى النداء إزالة تعب العبادة والعناء.

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ يا: نداء من العالم، وأى: اسم من المعلوم المنادى، وها: تنبيه على نداء المنادى الذى هو إشارة إلى المعرفة السابقة والصحبة القديمة. آمنوا: إشارة إلى السر المعلوم بين المنادى والمنادى، كأنه يقول: يا من هو لى بسره المخلص له بضميره وبلبه ﴿كتب﴾ أى فرض وأوجب ﴿عليكم الصيام﴾ وهو مصدر كقولك: صمت صيامًا وقمت قيامًا.

وأصل الصيام فى اللغة: الإمساك يقال: صامت الريح: إذا سكنت وأمسكت عن الهبوب، وصامت الخيل: إذا وقفت وأمسكت عن السير، ويقال: صام النهار: إذا اعتدل وقام قائم الظهيرة، لأن الشمس إذا بلغت كبد السماء وقفت وأمسكت عن السير سويعة كما قال الراجز:

حتى إذا صام النهار واعتدل ... وسال للشمس لعاب فنزل

ويقال للرجل إذا صَمُتَ وأمسك عن الكلام صام، قال الله تعالى: ﴿إنى نذرت للرحمن صومًا﴾ [مريم ٢٦] أى صمتًا، فالصوم: هو الإمساك عن المعتاد من الطعام والشراب والجماع فى الشرع مع ترك الآثام، قال الله عز وجل: ﴿كما كتب على الذين من قبلكم﴾ أى من الأنبياء والأمم أولهم آدم عليه السلام، وهو ما روى عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده قال: سمعت على بن أبى طالب رضى الله عنه

يقول: «أتيت رسول الله ﷺ ذات يوم عند انتصاف النهار وهو فى الحجرة، فسلمت عليه، فرد على السلام ثم قال: يا على هذا جبريل يقرئك السلام، فقلت: عليك وعليه السلام يا رسول الله، فقال ﷺ: ادن منى، فدنوت منه، فقال: يا على يقول لك جبريل صم من كل شهر ثلاثة أيام يكتب لك بأول يوم عشرة آلاف حسنة، وباليوم الثانى ثلاثون ألف حسنة، وباليوم الثالث مائة ألف حسنة، فقلت: يا رسول الله هذا الثواب لى خاصة أم للناس عامة؟ قال ﷺ: يا على يعطيك الله هذا الثواب ولمن يعمل مثل عملك بعدك، قلت: يا رسول الله، وما هى؟ قال: الأيام البيض ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر»(١).

قال عنترة: فقلت لعلى رضى الله عنه: لأى شىء تسمى هذه الأيام أيام البيض؟ فقال على رضى الله عنه: لما أهبط الله تعالى آدم عليه السلام من الجنة إلى الأرض أحرقته الشمس فاسود جسده فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا آدم أتحب أن يبيض جسدك؟ قال: نعم، قال له: فصم من الشهر ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر، فصام آدم عليه السلام أول يوم فابيض ثلث جسده، ثم صام اليوم الثانى فابيض ثلثا جسده، ثم صام اليوم الثالث فابيض جسده كله فسميت أيام البيض».

فآدم عليه السلام من الذين كتب عليهم الصيام من قبل محمد ﷺ.

وقال الحسن وجماعة من العلماء بالتفسير: أراد الله تعالى بالذين من قبلكم: النصارى، شبه صيامنا بصيامهم لاتفاقهما فى الوقت والقدر.

وذلك أن الله تعالى فرض على النصارى صيام شهر رمضان، فاشتد ذلك عليهم، لأنه ربما كان يأتى فى الحر الشديد أو فى البرد الشديد، وكان يضرّ بهم فى أسفارهم ومعايشهم، فاجتمع رأى علمائهم ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم فى فصل من السنة بين الشتاء والصيف، فجعلوه فى الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصار أربعين يومًا، ثم إن ملكًا لهم اشتكى فمه، فجعل لله إن هو برىء من وجعه ذلك أن يزيد فى صومهم أسبوعًا، فزادوا فيه أسبوعًا، ثم مات ذلك الملك، ووليهم ملك آخر فقال أتموه خمسين يومًا.

قال مجاهد رحمه الله: أصابهم موتان، فقال: زيدوا فى صيامكم، فزادوا عشرًا قبل

(١) النسائى ٤/ ٢١٠، وأحمد ٢/ ١٨٨، وأبو داود (١٣٨٩).

وعشرًا بعد.

وقال الشعبى رحمه الله: لو صمت السنة كلها لأفطرت اليوم الذى يشك فيه، فيقال من شعبان ويقال من رمضان، وذلك أن النصارى فرض عليهم شهر رمضان كما فرض علينا، فحولوه إلى الفصل، وذلك أنهم كانوا ربما صاموا فى القيظ فعدوا ثلاثين يومًا، ثم جاء بعدهم قرن منهم فأخذوا بالثقة فى أنفسهم، فصاموا قبل الثلاثين يومًا وبعدها يومًا، ثم لم يزل الآخر يستن بسنة القرن الذى قبله حتى صاروا إلى خمسين يومًا، فذلك قوله عز وجل: ﴿كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ [البقرة:١٨٣] يعنى لكى تتقوا الأكل والشرب والجماع.

وقال أهل التفسير أيضًا: فرض الله تعالى على رسوله محمد ﷺ وعلى المؤمنين صوم يوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر حين قدم المدينة، فكانوا يصومونها، إلى أن نزل صيام شهر رمضان قبل قتال بدر بشهر وأيام، قال الله تعالى: ﴿أيامًا معدودات﴾ [البقرة:١٨٤] يعنى شهر رمضان ثلاثين يومًا أو تسعة وعشرين يومًا.

وروى عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص أنه سمع ابن عمر رضى الله عنهما يحدث عن النبى ﷺ أنه قال: «إنّا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب الشهر هكذا وهكذا وهكذا لتمام الثلاثين»[1] وسمى الشهر شهرًا لشهرته، وهو مأخوذ من الشهرة وهى البياض، ومنه يقال: شهرت السيف إذا سللته وشهر الهلال إذا طلع.

(فصل) اختلف الناس فى معنى قوله رمضان:

فقال بعضهم: رمضان اسم من أسماء الله تعالى، فيقال شهر رمضان، كما يقال: شهر الله الأصم لرجب، وعبد الله.

وروى جعفر الصادق رحمه الله عن آبائه رضى الله عنهم عن النبى ﷺ أنه قال: «شهر رمضان شهر الله»[2].

وقال أنس بن مالك رضى الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا رمضان بل انسبوه كما نسبه الله تعالى فى القرآن، فقال: شهر رمضان»[3].

---

(١) مسلم (٧٦١)، والنسائى ٥/ ١٣٩، وأحمد ٢/ ٤٣.

(٢) الكنز (٢٣٦٨٥).

(٣) بنحوه: الموضوعات ٢/ ١٨٧، والبيهقى ٤/ ٢٠١، والإتحاف ٤/ ١١٠.

وروى الأصمعى قال أبو عمرو: إنما سمى رمضان لأنه رمضت فيه الفصال من الحر.

وقال غيره: لأن الحجارة كانت ترمض فيه من الحرارة، والرمضاء: الحجارة المحماة.

وقيل: سمى بذلك لأنه يرمض الذنوب: أى يحرقها، وهو مروى عن النبى ﷺ.

وقيل: إن القلوب تأخذ من الحرارة الموعظة والفكرة فى أمر الآخرة كما يأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس.

وقال الخليل: ماخذه من الرمض، وهو مطر يأتى فى الخريف، فسمى هذا الشهر رمضان لأنه يغسل الأبدان من الآثام غسلاً، ويطهر القلوب تطهيراً.

فصل

فى قوله عز وجل: ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن﴾ [البقرة: ١٨٥]

روى أن عطية بن الأسود سأل ابن عباس رضى الله عنهما فقال: إنه قد وقع الشك فى قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة مباركة﴾ [الدخان: ٣] وقد نزل القرآن فى سائر الشهور.

وقال الله تعالى: ﴿وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾ [الإسراء ١٠٦] ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ [الفرقان ٣٢].

فقال ابن عباس: نزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ فى ليلة القدر من شهر رمضان، فوضع فى بيت العزة فى سماء الدنيا، ثم نزل به جبريل عليه السلام على محمد ﷺ نجومًا نجومًا فى ثلاث وعشرين سنة، وذلك قول الله عز وجل: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ [الواقعة: ٧٥].

وقال داود بن أبى هند: قلت للشعبى: شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن أما كان ينزل عليه، عليه السلام فى سائر السنة؟ قال: بلى، ولكن جبريل عليه السلام كان يعارض محمداً ﷺ فى رمضان بما أنزل الله، فيحكم الله ما يشاء ويثبت ما يشاء وينسيه ما يشاء.

عن شهاب بن طارق عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «أنزلت صحف إبراهيم فى ثلاث ليال مضين من شهر رمضان، وأنزلت توراة موسى عليه

السلام فى ست ليال مضين من رمضان، وأنزل إنجيل عيسى عليه السلام فى ثلاثة عشرة ليلة مضت من شهر رمضان، وأنزل زبور داود عليه السلام فى ثمانى عشرة ليلة مضت من شهر رمضان، وأنزل الفرقان على محمد ﷺ فى الرابعة والعشرين من شهر رمضان»[1] ثم وصف عز وجل القرآن فقال: ﴿هدى للناس﴾ [البقرة: ١٨٥] من الضلالة ﴿وبينات﴾ [البقرة: ١٨٥] من الحلال والحرام والحدود والأحكام ﴿من الهدى والفرقان﴾ [البقرة ١٨٥] يفصل بين الحق والباطل.

(فصل: فيما يختص بشهر رمضان من الفضائل)

أخبرنى أبو نصر عن والده، قال: أنبأنا ابن الفارس، قال: حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الجلودى النيسابورى، قال: أخبرنا محمد بن إسحاق بن خزيمة، قال: أنبأنا على بن حجر السعدى، قال: أنبأنا يوسف بن زياد، قال: أخبرنا همام بن يحيى عن على بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب عن سلمان رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فى آخر يوم من شعبان فقال: «أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعًا، من تقرب فيه بخصلة من الخير أو أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد فيه فى رزق المؤمن، فمن فطر فيه صائمًا كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شىء، قالوا: ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، قال: يعطى الله هذا الثواب لمن فطر صائمًا على تمرة أو على شربة ماء أو مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة ووسطه مغفرة وآخره عتق من النار، فمن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار، فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتان ترضون بهما ربكم، وخصلتان لا غنى لكم عنهما.

فالخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى لكم عنهما: فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن أشبع فيه صائمًا سقاه الله تعالى من حوضى شربة لا يظمأ بعدها أبدًا»[2].

---

(١) بنحوه: البيهقى ٩/ ١٨٨.

(٢) أمالى الشجرى ١/ ٢٦٧.

وعن الكلبي عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أبواب الجنة وأبواب السماء لتفتح لأول ليلة من شهر رمضان، ولا تغلق إلى آخر ليلة منه، ليس من عبد أو أمة يصلي في ليلة منه إلا كتب الله له بكل سجدة ألفًا وسبعمائة حسنة، وبنى له بيتًا في الجنة من ياقوتة حمراء له سبعون ألف باب، لكل باب منها مصراعان من ذهب موشح من ياقوتة حمراء، فإذا صام أول يوم من شهر رمضان غفر الله له كل ذنب إلى آخر يوم من رمضان، وكان كفارة إلى مثلها، وكان له بكل يوم يصومه قصر في الجنة له ألف باب من ذهب، واستغفر له سبعون ألف ملك من غدوه إلى أن تتوارى بالحجاب، وكان له بكل سجدة سجدها من ليل أو نهار شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»[1].

وأخبرني أبو نصر عن والده بإسناده عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، نظر الله إلى خلقه وإذا نظر إلى عبد لم يعذبه أبدًا، ولله عز وجل في كل يوم ألف ألف عتيق من النار»[2].

وأخبرني أبو نصر عن والده بإسناده عن سهل، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين»[3].

وعن نافع بن بردة، عن أبي مسعود الغفاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يصوم يومًا من رمضان إلا زوج زوجة من الحور العين في خيمة من درة مجوفة مما نعت الله عز وجل: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ [الرحمن: ٧٢] على كل امرأة منهن سبعون حلة ليس منها حلة على لون الأخرى، ويعطى سبعون لونًا من الطيب، ليس منها لون على لون الآخر، ويعطى لكل امرأة منهن سبعون سريرًا من ياقوتة حمراء موشحة بالدر، على كل سرير سبعون فراشًا على كل فراش أريكة، لكل امرأة سبعون ألف وصيف لحاجتها، وسبعون ألف وصيف لزوجها مع كل وصيفة صحفة من ذهب فيها لون من طعام، فيجد لآخر لقمة منها لذة لم يجدها لأوله ويعطى

---

(١) مجمع الزوائد ٣/ ١٤٢، والطبراني في «الصغير» ١/ ١١٧، وتاريخ أصفهان ١/ ٢٤٩.

(٢) الموضوعات ٢/ ١٩٠، والضعيفة ٢٩٩، والكنز (٢٣٧٠٧).

(٣) البخاري ٣/ ٣٢، ومسلم في: الصيام (١)، وأحمد ٢/ ٣٥٧.

زوجها مثل ذلك، على سرير من ياقوت أحمر، هذا لكل يوم صامه من رمضان سوى ما يعمل من الحسنات»[1].

(فصل) أخبرني أبو نصر عن والده بإسناده، قال: حدثنا محمد بن أحمد، قال: حدثنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا أبو القاسم بن عبد الله بن محمد قال: حدثنا الحسن بن إبراهيم بن يسار وإبراهيم بن محمد بن حارث، قال: حدثنا سلمة بن شبيب، قال: حدثنا القاسم بن محمد، قال: حدثنا هشام بن الوليد، قال: حدثنا حماد ابن سليمان الدوسي، عن الحسن، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن الجنة لتتجدد وتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان، فإذا كان أول ليلة من شهر رمضان، هبت ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة، فتصفق ورق أشجار الجنة وحلق المصاريع، فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه، فتزين الحور العين حتى يقفن بين شرف الجنة، فينادين هل من خاطب إلى الله عز وجل فيزوجه، ثم يقلن: يا رضوان: ما هذه الليلة؟ فيجيبهن بالتلبية يا خيرات حسان، هذه أول ليلة من شهر رمضان فتحت أبواب الجنان للصائمين من أمة محمد ﷺ فيقول الله تعالى: يا رضوان افتح أبواب الجنان، يا مالك أغلق أبواب النيران عن الصائمين من أمة محمد ﷺ يا جبريل اهبط إلى الأرض فصفّد مردة الشياطين وغلهم بالأغلال، ثم اقذف بهم في لجج البحار حتى لا يفسدوا على أمة محمد حبيبي صيامهم.

قال: ويقول الله عز وجل في كل ليلة من شهر رمضان ثلاث مرات: هل من سائل فأعطيه سؤله، هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له؟ من يقرض المليء غير المعدم، والوفي غير الظلوم؟

قال: وله في كل يوم من شهر مضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار، كلهم قد استوجبوا العقاب، فإذا كان ليلة الجمعة ويوم الجمعة أعتق الله تعالى في كل ساعة ألف ألف عتيق من النار، كلهم قد استوجبوا العذاب، فإذا كان في آخر يوم من شهر رمضان أعتق الله في ذلك اليوم بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره، فإذا كان ليلة القدر يأمر جبريل عليه السلام فيهبط في كبكبة من الملائكة ومعه لواء أخضر إلى

---

(١) الترغيب ٢/ ١٠٢.

الأرض، فيركزه على ظهر الكعبة، وله ستمائة جناح لا ينشرها إلا في ليلة القدر، فينشرها في تلك الليلة، فيجاوز المشرق والمغرب، ويبث جبريل عليه السلام الملائكة في هذه الأمة فيسلمون على كل قائم ومصل وذاكر، ويصافحونهم ويؤمنون على دعائهم حتى يطلع الفجر، ثم ينادي جبريل عليه السلام: يا معشر الملائكة البرحيل الرحيل، فيقولون: يا جبريل ما صنع الله في حوائج المؤمنين من أمة محمد ﷺ ؟ فيقول: إن الله تعالى نظر إليهم وعفا عنهم وغفر لهم إلا أربعة، فقال رسول الله ﷺ: هؤلاء الأربعة: مدمن خمر، وعاق والدية، وقاطع رحم، ومشاحن.

قيل: يا رسول الله من المشاحن؟ قال: المصارم، فإذا كان ليلة الفطر سميت تلك الليلة ليلة الجائزة، فإذا كان غداة الفطر بث الله تعالى الملائكة في كل البلاد فيهبطون إلى الأرض، فيقومون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه كل من خلق الله تعالى إلاّ الجن والإنس فيقولون: يا أمة محمد ﷺ أخرجوا إلى رب كريم يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم، فإذا برزوا إلى مصلاهم يقول الله تعالى لملائكته: يا ملائكتي ما جزاء الأجير إذا عمل عمله؟.

قال: فتقول الملائكة: إلهنا وسيدنا توفيه أجرته، فيقول: فإني أشهدكم يا ملائكتي أني قد جعلت ثواب صيامهم من شهر رمضان وقيامهم رضاي ومغفرتي، ثم يقول: يا عبادي سلوني فوعزتي وجلالي لا تسألوني اليوم في جمعكم لآخرتكم شيئًا إلاّ أعطيتكم، ولا لدنياكم إلاّ نظرت لكم، وعزتي وجلالي لأسترن عليكم عثراتكم ما راقبتموني، وعزتي وجلالي لا أخزيكم ولا أفضحكم بين أصحاب الحدود، انصرفوا مغفوراً لكم، قد أرضيتموني ورضيت عنكم.

قال: فتفرح الملائكة ويستبشرون بما يعطي الله عز وجل هذه الأمة إذا أفطروا من شهر رمضان»[1].

وعن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ نحوه، واللفظ متقارب.

وأخبرني أبو نصر عن والده بإسناده عن نافع، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول يوم أهلّ شهر رمضان: «لو يعلم العباد ما في شهر رمضان

(١) الكنز (٢٤٢٨١)، والترغيب ٢/ ٩٩، والمتناهية ٢/ ٤٤.

لتمنى العباد أن يكون شهر رمضان سنة، فقال رجل من خزاعة: يا رسول الله حدثنا، فقال رسول الله ﷺ: إن الجنة لتزين لشهر رمضان من رأس الحول إلى الحول، حتى إذا كان أول ليلة منه هبت ريح من تحت العرش، فصفقت ورق الجنة، فنظرت الحور العين إلى ذلك فقلن: يا رب اجعل من عبادك فى هذا الشهر لنا أزواجًا تقر عيننا بهم، وتقر أعينهم بنا، فما من عبد صام شهر رمضان إلاَّ زوجه الله زوجة من الحور العين فى خيمة من درة مجوفة، مما نعت الله به: ﴿حور مقصورات فى الخيام﴾ [الرحمن ٧٢] على كل امرأة منهن سبعون حلة ليس منها حلة على لون الأخرى، وتعطى سبعون لونًا من الطيب ليس منه لون يشبه الأول، كل امرأة منهن على سرير من ياقوت موشح بالدر عليه سبعون فراشًا، بطائنها من إستبرق، وفوق السبعين فراش سبعون أريكة، ولكل امرأة منهن سبعون ألف وصيف يخدمها، وسبعون ألف وصيف لزوجها بيد كل وصيف صحفة من ذهب فيها لون من الطعام، يجد لآخره من اللذة ما لا يجد لأوله، ويعطى زوجها مثل ذلك، على سرير من ياقوتة حمراء، عليه سواران من ذهب مرصع بالياقوت هذا لكل من صام شهر رمضان سوى ما عمل من الحسنات»[1].

وعن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نادى الجليل جلت عظمته رضوان خازن الجنان، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: نجِّد جنتى وزينها للصائمين من أمة أحمد، ولا تغلقها عنهم حتى ينقضى شهرهم، ثم ينادى مالكًا خازن النار: يا مالك، فيقول: لبيك ربى وسعديك، فيقول: اغلق أبواب الجحيم عن الصائمين من أمة أحمد، ثم لا تفتحها عليهم حتى ينقضى شهرهم، ثم ينادى جبريل عليه السلام، فيقول: لبيك ربى وسعديك، فيقول. انزل إلى الأرض فغل مردة الشياطين عن أمة أحمد حتى لا يفسدوا عليهم صيامهم وإفطارهم، ولله عز وجل فى كل يوم من شهر رمضان عند طلوع الشمس وعند الإفطار عتقاء يعتقهم من النار عبيدًا وإماء، وله فى كل سماء مناد فيهم ملك له عرف تحت عرش رب العالمين، وفرائسه فى تخوم الأرض السابعة السفلى، له جناح بالمشرق، مكلل بالمرجان والدر والجواهر، ينادى: هل من تائب يتاب عليه، هل من داع يستجاب له، هل من مظلوم ينصره الله، هل من مستغفر يغفر له، هل من سائل يعطى سؤله؟

(١) الكنز (٢٣٧١٥)، ومجمع الزوائد ٣/ ١٤١

قال: وينادى الرب ـ تعالى ذكره ـ الشهر كله: عبادى وإمائى أبشروا واصبروا وداوموا، يوشك أن أرفع عنكم المؤنات وتفضوا إلى رحمتى وكرامتى، فإذا كان ليلة القدر نزل جبريل عليه السلام فى كبكبة من الملائكة يصلون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل»[1].

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أذن الله للسموات والأرض أن تتكلما لبشرتا من صام رمضان بالجنة».

وعن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح، ودعاؤه مستجاب، وعمله مضاعف»[2].

وروى الأعمش عن أبى خيثمة رضى الله عنه أنه قال: كانوا يقولون رمضان إلى رمضان، والحج إلى الحج والجمعة إلى الجمعة، والصلاة إلى الصلاة كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر.

وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يقول إذا دخل شهر رمضان: مرحبًا بالمطهر خير كله، صيام نهاره وقيام ليله، والنفقة فيه كالنفقة فى سبيل الله.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «من صام رمضان وقامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»[3].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أيضًا عن النبى ﷺ أنه قال: «كل حسنة يعملها ابن آدم تتضاعف عشراً إلى سبعمائة ضعف، إلاَّ الصوم فإن الله تعالى يقول: الصوم لى وأنا أجزى به، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلى، والصوم جنة، وللصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه»[4].

وأخبرنا أبو البركات السقطى بإسناده عن يزيد بن هارون قال: حدثنا المسعودى قال: بلغنى أن من قرأ فى ليلة من شهر رمضان فى التطوع ﴿إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا﴾ [الفتح.١] حفظ فى ذلك العام.

---

(١) الموضوعات ٢/ ١٨٧، واللآلىء المصنوعة ٢/ ٥٢، ٥٣.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٨٣، والإتحاف ٤/ ١٩٣، والكنز (٢٣٥٦٢).

(٣) الترمذى (٦٨٣)، وابن ماجه (١٣٢٦)، وأحمد ٢/ ٥٠٣.

(٤) أحمد ٢/ ٢٦٦، ومصنف عبد الرزاق (٧٨٩٣).

(فصل) رمضان خمسة أحرف:

الراء: رضوان الله، والميم: محاباة الله عن العصاة، والضاد: ضمان الله، والألف: ألفة الله، والنون: نور الله، فهو شهر رضوان ومحاباة وضمان وألفة ونوال وكرامة للأولياء والأبرار.

وقيل: مثل شهر رمضان فى الشهور كمثل القلب فى الصدور، وكالأنبياء فى الأنام، وكالحرم فى البلاد، فالحرم يمنع منه الدجال اللعين، وشهر رمضان تصفد فيه مردة الشياطين، والأنبياء شفعاء للمجرمين، وشهر رمضان شفيع للصائمين، والقلب مزين بنور المعرفة والإيمان، وشهر رمضان مزين بنور تلاوة القرآن، فمن لم يغفر له فى شهر رمضان ففى أى شهر يغفر له، فليتب العبد إلى الله عز وجل قبل أن تغلق أبواب التوبة، وليتب إليه عز وجل قبل أن يفوت وقت الإنابة، وليبك قبل أن ينقضى وقت البكاء والرحمة.

وقد قال النبى ﷺ: «إن أمتى لم يخزوا ما أقاموا شهر رمضان، فقال رجل: يا نبى الله وما خزيهم؟ قال: من انتهك فيه محرمًا أو عمل سيئة أو شرب خمرًا، أو زنى لم يقبل منه رمضان، لعنه الله وملائكته وأهل السموات إلى مثله من الحول، وإن مات فيما بينه وبين رمضان فليس له عند الله حسنة»[1].

(فصل) قيل: إن سيد البشر آدم عليه السلام، وسيد العرب محمد ﷺ، وسيد الفرس سلمان، وسيد الروم صهيب، وسيد الحبش بلال، وسيد القرى مكة، وسيد الأودية وادى بيت المقدس، وسيد الأيام يوم الجمعة، وسيد الليالى ليلة القدر، وسيد الكتب القرآن، وسيد القرآن البقرة، وسيد البقرة آية الكرسى، وسيد الأحجار الحجر الأسود، وسيد الآبار زمزم، وسيد العصى عصا موسى، وسيد الحيتان الحوت الذى كان يونس عليه السلام فى بطنه، وسيد النوق ناقة صالح، وسيد الأفراس البراق، وسيد الخواتم خاتم سليمان عليه السلام، وسيد الشهور شهر رمضان.

* * *

(١) الطبرانى فى «الصغير» ١/ ٢٤٨.

(فصل: فى فضائل ليلة القدر)

قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر...﴾ [القدر ١] إلى آخر السورة، فأنزلناه كناية عن القرآن أنزله الله تعالى من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا إلى السفرة، وهم الكتبة من الملائكة، فكان ينزل فى تلك الليلة من اللوح المحفوظ على قدر ما ينزل به جبريل عليه السلام بإذن الله تعالى إلى النبى ﷺ فى السنة كلها، إلى مثلها من قابل، حتى نزل القرآن كله فى ليلة القدر من شهر رمضان إلى سماء الدنيا.

وقال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ [القدر ١] يعنى أنزلنا جبريل بهذه السورة وجملة القرآن فى ليلة القدر على الكتبة ثم نزل بعد ذلك نجمًا نجمًا على رسول الله ﷺ فى ثلاث وعشرين سنة، فى سائر الشهور والأيام والليالى والأوقات.

قوله تعالى: ﴿فى ليلة القدر﴾ أى فى ليلة عظيمة، وقيل: فى ليلة الحكم، وسميت ليلة القدر تعظيمًا لها ولقدرها لأن الله تعالى يقدر فيها ما يكون من أمر السنة إلى مثلها من العام المقبل.

ثم قال: ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ [القدر.٢] يا محمد لولا أن الله أعلمك بعظمتها، فكل ما فى القرآن ﴿وما أدراك﴾ فقد أُعلمه، وما فيه ﴿وما يدريك﴾ فلم يُدره، ولم يطلعه عليه كقوله عز وجل: ﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريبًا﴾ [الأحزاب:٦٣] وما بين له وقتها.

قوله تعالى: ﴿ليلة القدر﴾ أى ليلة العظمة والحكمة.

وقيل: هى الليلة المباركة التى قال الله عز وجل: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة مباركة... * فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ [الدخان:٣ ـ ٤] ثم قال عز وجل: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ [القدر:٣] يعنى العمل فيها خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

ويقال أن الصحابة رضى الله عنهم لم يفرحوا بشىء كفرحهم بقوله تعالى: ﴿خير من ألف شهر﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ ذكر يومًا لأصحابه أربعة من بنى إسرائيل بأنهم عبدوا الله ثمانين عامًا لم يعصوه طرفة عين، وذكر أيوب وزكريا وحزقيل ويوشع ابن نون عليهم السلام، فعجب أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك، فأتاه جبريل عليه

السلام وقال له: يا محمد عجبت أنت وأصحابك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوا الله تعالى فيها طرفة عين، فقد أنزل الله عليك خيراً من ذلك، ثم قرأ عليه ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر...﴾ إلى آخرها، وقال له: هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك منه، فَسُرَّ بذلك النبى ﷺ.

وقال ابن نجيح: إنه كان فى بنى إسرائيل رجل لبس السلاح ألف شهر فى سبيل الله تعالى لم يضعه عنه، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأصحابه، فتعجبوا من قوله، فأنزل الله عز وجل: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ [القدر ٣] يعنى خير لكم من تلك الألف شهر التى لبس فيها ذلك الرجل السلاح فى سبيل الله ولم يضعه.

وقيل: إنه كان اسمه شمعون العابد فى بنى إسرائيل، وقيل شمسون.

﴿تنزل الملائكة﴾ [القدر:٤] يعنى تنزل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر ﴿والروح﴾ [القدر.٤] يعنى جبريل عليه السلام.

وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: الروح على صورة الإنسان عظيم الخلق وهو عظيم الخلق، وهو الذى قال الله عز وجل: ﴿ويسألونك عن الروح﴾ [الإسراء:٨٥] وهو الملك يقوم مع الملائكة صفًا يوم القيامة.

وقال مقاتل: هو أشرف الملائكة عند الله تعالى.

وقال غيره: إنه ملك وجهه على صورة الإنسان وجسده جسد الملائكة، وهو أعظم مخلوق عند العرش يقوم صفًا، وتقوم الملائكة صفًا، قال الله تعالى: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفًا﴾ [النبأ:٣٨].

﴿فيها﴾ [القدر.٤] يعنى فى ليلة القدر.

﴿بإذن ربهم﴾ [القدر:٤] أى بأمر ربهم.

﴿من كل أمر﴾ [القدر:٤] يعنى بكل خير.

﴿سلام هى حتى﴾ [القدر.٥] أى هى سلام، أى سليمة.

﴿حتى مطلع الفجر﴾ [القدر:٥] لا يحدث فيها داء ولا كهانة.

﴿مطلع الفجر﴾ بكسر اللام يريد: الطلوع، وبالفتح يريد: الموضع الذى يطلع فيه، وقيل سلام، يعنى سلام الملائكة على المؤمنين من أهل الأرض، يقولون: سلام سلام حتى يطلع الفجر.

(فصل) وتلتمس ليلة القدر فى العشر الأواخر من شهر رمضان، وآكدها ليلة سبع وعشرين.

وعند مالك رحمه الله جميع ليالى العشر الأواخر ليس بعض بآكد من بعض. وعند الشافعى رحمه الله آكدها إحدى وعشرون.

وقيل: إنها ليلة التاسع عشر، وهو مذهب عائشة رضى الله عنها.

وقال أبو بردة الأسلمى رضى الله عنه: هى ليلة ثلاث وعشرين.

وقال أبو ذر والحسن رضى الله عنهما: إنها ليلة خمس وعشرين.

وروى بلال رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «إنها ليلة أربع وعشرين».

وقال ابن عباس وأبى بن كعب رضى الله عنهم: إنها ليلة سبع وعشرين.

والدليل على أن آكدها ليلة سبع وعشرين ـ والله أعلم ـ ما روى حنبل رحمه الله بإسناده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «كانوا لا يزالون يقصون على النبى ﷺ الرؤيا من العشر الأواخر فقال النبى ﷺ: أرى رؤياكم قد تواترت إنها ليلة سابعة من العشر الأواخر، من كان متحريًا فليتحرها الليلة السابعة من العشر الأواخر»[1].

ويروى أن ابن العباس قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنهم: إنى نظرت فى الأفراد فلم أر فيها أحرى لى من السبعة، فذكر بعض ما نذكره فى السبعة فقال: السموات سبع، والأرضون سبع، والليالى سبع، والأفلاك سبع، والنجوم سبع، والسعى بين الصفا والمروة سبع، والطواف بالبيت سبع، ورمى الجمار سبع، وخلق الإنسان من سبع، ورزقه من سبع، وشق فى وجهه سبع، والخواتيم سبع، والحمد سبع آيات، وقراءة القرآن على سبعة أحرف، والسبع المثانى، والسجود على سبعة أعضاء، وأبواب جهنم سبع، وأسماؤها سبع، وأدراكها سبع، وأصحاب الكهف سبع، وأهلك عاد بالريح العقيم فى سبع ليال، ومكث يوسف عليه السلام فى السجن سبع سنين، والبقرات سبع، والسنون الجدبة سبع، والسنون الخصبة سبع، والصلوات الخمس سبع عشرة ركعة، وقال الله عز وجل: ﴿وسبعة إذا رجعتم﴾ [البقرة.١٩٦] وحرم من النساء بالنسب سبع، ومن الصهر سبع، وجعل رسول الله ﷺ طهارة الإناء إذا ولغ فيه الكلب سبع مرات إحداهن بالتراب، وعدد حروف سورة القدر إلى قوله: ﴿سلام هى﴾ سبع

(١) البخارى ٢/٦٩، ومسلم فى: الصيام (٢٠٥)، وأحمد ٢/٥.

وعشرون حرفًا، ومكث أيوب عليه السلام فى بلائه سبع سنين، وقالت عائشة رضى الله عنها: تزوجنى رسول الله ﷺ وأنا بنت سبع سنين، وأيام العجوز يعنى الحموم سبعة، ثلاثة من شباط وأربعة من آذار، وقال رسول الله ﷺ: «شهداء أمتى سبعة: القتيل فى سبيل الله، والمطعون، والمسلول، والغريق، والحريق، والمبطون، والنفساء»[1].

وأقسم الله عز وجل بسبع: ﴿والشمس وضحاها...﴾ [الشمس ١] إلى قوله: ﴿ونفس وما سواها﴾ [الشمس:٧]، وكان طول موسى عليه السلام سبعة أذرع بذراع ذلك القرن، وطول عصى موسى سبعة أذرع.

فإذا ثبت أن أكثر الأشياء سبع، فقد نبه الله تعالى عباده على أن ليلة القدر السابعة والعشرون بقوله تعالى: ﴿سلام هى حتى مطلع الفجر﴾ [القدر.٥] فعلمنا بذلك أنها ليلة السابع والعشرين.

(فصل: فهل ليلة الجمعة أفضل أم ليلة القدر؟)

اختلف أصحابنا فى ذلك، فاختار الشيخ أبو عبد الله بن بطة، والشيخ أبو الحسن الجزرى، وأبو حفص عمر البرمكى رحمهم الله أن ليلة الجمعة أفضل.

واختار أبو الحسن التميمى رحمه الله أن الليلة التى أنزل فيها القرآن من ليالى القدر أفضل من ليلة الجمعة، فأما أمثال تلك الليلة من ليالى القدر فليلة الجمعة أفضل.

وقال أكثر العلماء: ليلة القدر أفضل من ليلة الجمعة وغيرها من الليالى.

وجه اختيار أصحابنا ما روى القاضى الإمام أبو يعلى رحمه الله بإسناده عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يغفر الله ليلة الجمعة لأهل الإسلام أجمعين» وهذه فضيلة لم تنقل عنه عليه الصلاة والسلام لغيرها من الليالى.

وروى عنه ﷺ أنه قال: «أكثروا علىّ من الصلاة فى الليلة الغراء واليوم الأزهر، ليلة الجمعة ويوم الجمعة»[2] والغرة من الشىء خياره ولأن ليلة الجمعة تابعة ليومها.

وقد جاء فى فضل يومها ما لم يجىء فى فضل ليلة القدر، من ذلك ما روى أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «ما طلعت الشمس على يوم أعظم عند الله من

---

(١) الموطأ (٢٣٤)

(٢) الدرر (٤٢).

يوم الجمعة ولا أحب إليه منه»[1].

وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «لا تطلع الشمس ولا تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة، وما من دابة إلاَّ وهى تفزع ليوم الجمعة إلا هذين الثقلين من الجن والإنس»[2].

وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن الله يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها، ويبعث الجمعة وهى زهراء منيرة، وأهلها يحفون بها كالعروس تهدى إلى كريمها تضىء لهم ويمشون فى ضوئها، وألوانهم كالثلج، وريحهم كالمسك يخوضون فى جبال الكافور، وينظر إليهم الثقلان ما يطوفون تعجبًا حتى يدخلون الجنة[3].

فإن قيل: فما جوابكم عن قوله عز وجل: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ [القدر ٣].

قيل: المراد بها خير من ألف شهر ليس فيها ليلة الجمعة، كما أن تقديرها عندهم خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وأيضًا أن ليلة الجمعة باقية فى الجنة، لأن فى يومها تقع الزيارة إلى الله سبحانه وتعالى وهى معلومة فى الدنيا بعينها على القطع، وليلة القدر مظنون عينها.

وجه اختيار التميمى وغيره من العلماء أن ليلة القدر أفضل؛ قوله تعالى: ﴿خير من ألف شهر﴾ وألف شهر: ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر.

وقيل: إنه عرض على النبى ﷺ أعمار أمته فاستقلها، فأعطى ليلة القدر.

وعن مالك بن أنس رحمه الله أنه قال: سمعت ممن أثق به يقول: «إن رسول الله ﷺ رأى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله تعالى من ذلك، فكأنه تصاغر أعمار أمته بأن لا يبلغوا من العمل مثل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر».

وقال مالك بن أنس رحمه الله: بلغنى أن سعيد بن المسيب قال: من حضر صلاة العشاء ليلة القدر أصاب منها حظًا.

---

(١) أحمد ٢/ ٥١٩، والترغيب ١/ ٤٩١.

(٢) أحمد ٢/ ٢٧٢، والكنز (٢١٠٧٧)، ومصنف عبد الرزاق (٥٥٦٣).

(٣) الصحيحة (٧٠٦)، والكنز (٢٠٩١٠)، والدر المنثور ٦/ ٢١٦، والحاكم فى المستدرك ١/ ٢٧٧.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى العشاء والمغرب فى جماعة فقد أخذ بحظه من ليلة القدر، ومن قرأها ـ يعنى سورة القدر ـ فكأنما قرأ ربع القرآن»[1].

ويستحب أن يقرأها فى العشاء الأخيرة من شهر رمضان.

(فصل) فإن قال قائل، لمَ لمْ يطلع الله عباده على ليلة القدر يقينًا وقطعًا كما أطلعهم على ليلة الجمعة وبينها لهم؟

قيل له: يتكل العباد على عملهم فيها، فيقولون: قد عملنا فى ليلة خير من ألف شهر، فقد غفر الله لنا وحصل لنا عنده درجات وجنات، فلا يعملوا عملاً ويطمئنوا فيغلب عليهم الرجاء فيهلكوا، وهذا كما لم يطلعهم على فناء آجالهم لئلا يقول من كان فى عمره طول: أتبع الشهوات واللذات والتنعم فى الدنيا، فإذا قاربت فناء أجلى تبت واشتغلت بعبادة ربى وأموت تائبًا مصلحًا، فيغيب الله تعالى عنهم آجالهم ليكونوا أبدًا على وجل وحذر من الموت فيحسنوا العمل ويداوموا على التوبة وإصلاح العمل، فيأتيهم الموت وهم على خير حال، فتصل إليهم الأقسام من اللذات والشهوات فى الدنيا، وينجون من عذاب الله فى الآخرة برحمة الله تعالى.

وقيل: إن الله تعالى أخفى خمسة أشياء فى خمسة:

الأول: أخفى رضاه فى الطاعات.

والثانى: أخفى غضبه فى المعاصى.

والثالث: أخفى الصلاة الوسطى بين الصلوات.

والرابع: أخفى وليه فى خلقه.

والخامس: أخفى ليلة القدر فى شهر رمضان.

(فصل) وأن الله عز وجل أعطى المصطفى ﷺ خمس ليالى:

الأولى: ليلة المعجزة والقدرة وهى ليلة انشقاق القمر؛ قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ [القمر:١] وكان انفلاق البحر لموسى عليه السلام، وهو يضرب العصا.

والانشقاق لمحمد ﷺ وهو بإشارة أصبع المصطفى ﷺ، فهو أعظم فى المعجزات والإعجاز والقدرة.

---

(١) الكنز (٩١ - ٢٤)، والدر المنثور ٦/ ٣٧٧.

والثانية: ليلة الإجابة والدعوة، قوله تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾ [الأحقاف:٢٩].

والثالثة: ليلة الحكم والقضية، قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ [الدخان:٣ ـ ٤].

والرابعة: ليلة الدنو والقربة، هى ليلة المعراج، قوله تعالى: ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ [الإسراء:١].

وأما الخامسة: فليلة السلام والتحية، قوله: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ [القدر:١] إلى قوله تعالى: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ [القدر:٤] يعنى ليلة القدر.

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: «إذا كان ليلة القدر يأمر الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام أن ينزل إلى الأرض ومعه سكان سدرة المنتهى سبعون ألف ملك، ومعهم ألوية من نور، فإذا هبطوا إلى الأرض ركز جبريل عليه السلام لواءه والملائكة ألويتهم فى أربع مواطن: عند الكعبة، وعند قبر النبى ﷺ، وعند مسجد بيت المقدس، وعند مسجد طور سيناء، ثم يقول جبريل عليه السلام تفرقوا، فيتفرقون فلا تبقى دار ولا حجرة ولا بيت ولا سفينة فيها مؤمن أو مؤمنة إلا دخلت الملائكة فيها، إلا بيت فيه كلب أو خنزير أو خمر أو جنب من حرام أو صورة، فيسبحون ويقدسون ويهللون ويستغفرون لأمة محمد ﷺ، حتى إذا كان وقت الفجر يصعدون إلى السماء، فيستقبلهم سكان السماء الدنيا فيقولون لهم: من أين أقبلتم؟ فيقولون: كنا فى الدنيا، لأن الليلة ليلة القدر لأمة محمد ﷺ، فقال سكان سماء الدنيا: ما فعل الله بحوائج أمة محمد؟ فيقول جبريل عليه السلام: إن الله غفر لصالحيهم وشفعهم فى طالحيهم، فترفع ملائكة سماء الدنيا أصواتهم بالتسبيح والتقديس والثناء على رب العالمين شكراً لما أعطاه الله هذه الأمة من المغفرة والرضوان، ثم تشيعهم ملائكة سماء الدنيا إلى السماء الثانية، ثم كذلك سماء بعد سماء إلى السابعة، ثم يقول جبريل عليه السلام: يا سكان السموات ارجعوا، فترجع ملائكة كل سماء إلى مواضعهم، ويرجع سكان سدرة المنتهى إلى السدرة، فيقول سكان السدرة: أين كنتم؟ فيجيبون مثل ما أجابوا أهل السماء الدنيا، فترفع سكان السدرة أصواتهم بالتسبيح والتقديس، فتسمع جنة المأوى، ثم جنة النعيم، ثم جنة عدن، ثم الفردوس، فيسمع عرش الرحمن، فيرفع العرش صوته

بالتسبيح والتهليل والثناء على رب العالمين شكراً لما أعطى هذه الأمة، فيقول الله عز وجل وهو أعلم: يا عرشي لم رفعت صوتك؟ فيقول: إلهي بلغني أنك قد غفرت البارحة لصالحي أمة محمد ﷺ وشفعت صالحيها في طالحيها، فيقول الله تعالى: صدقت يا عرشي، ولأمة محمد عندي من الكرامة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

وقيل: إن جبريل عليه السلام إذا نزل من السماء ليلة القدر لا يدع أحداً من الناس إلاَّ سلم عليه وصافحه، وعلامة ذلك اقشعرار جلده وترقيق قلبه وتدميع عينيه.

ولهذا روى أن النبي ﷺ كان مهموماً لأجل أمته، فقال الله تعالى: يا محمد لا تغتم فإني لا أخرج أمتك من الدنيا حتى أعطيهم درجات الأنبياء، وذلك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تنزل عليهم الملائكة بالروح والرسالة والوحي والكرامة، وكذلك أنزل بالملائكة على أمتك في ليلة القدر بالتسليم والرحمة مني.

(فصل) والأمارة في أنها ليلة القدر، أن تكون ليلة طلقة سمحة لا حارة ولا باردة.

وقيل: لا يسمع فيها نباح الكلاب، وتطلع الشمس صبيحتها، ليس لها شعاع كالطست، وتكشف عجائبها لأرباب القلوب والولاية وأهل الطاعة لمن يشاء الله تعالى من المؤمنين من عباده، وعلى قدر أحوالهم وأقامهم ومنازلهم في القرب من الله عز وجل.

(فصل) وصلاة التراويح سنة النبي ﷺ.

صلاها ليلة، وروى ليلتين، وروى ثلاثاً، ثم انتظروه فلم يخرج، وقال: «لو خرجت لفرضت عليكم».

ثم استديمت في أيام عمر رضي الله عنه، فلذلك أُضيفت إليه لأنه ابتدأها، والحديث المروي في ذلك عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج في جوف الليل في شهر رمضان، فصلى في المسجد وصلى الناس بصلاته، فلما كانت الليلة الثانية كثر الناس حتى عجز المسجد عن أهله، فلم يخرج إليهم حتى خرج لصلاة الفجر، فلما صلى الفجر أقبل على الناس وقال: «إنه لم يخف عليَّ شأنكم الليلة، ولكن خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عن ذلك»[1].

---

(١) أحمد ٦/٦٩.

قالت: وكان ﷺ يرغبهم في حديث رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة، فتوفى رسول الله ﷺ والأمر على ذلك في أيام خلافة أبي بكر الصديق رضى الله عنه وصدراً من خلافة عمر رضى الله عنه.

وروى عن على رضى الله عنه أنه قال: إنما أخذ عمر بن الخطاب رضى الله عنه هذه التراويح من حديث سمعه منى، قالوا: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لله تعالى حول العرش موضعًا يسمى حظيرة القدس وهى من النور، فيها ملائكة لا يحصى عددهم إلا الله عز وجل، يعبدون الله تعالى عبادة لا يفترون ساعة، فإذا كان ليالى شهر رمضان استأذنوا ربهم أن ينزلوا إلى الأرض، فيصلون مع بنى آدم. فيأذن لهم فينزلون كل ليلة إلى الأرض فيصلون مع بنى آدم، فكل من مسهم من أمة محمد ﷺ أو مسوه سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا» فقال عمر رضى الله عنه إذ ذاك: فنحن أحق بهذا، فجمع للتراويح وسنها.

وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه خرج فى أول ليلة من شهر رمضان، فسمع القرآن فى المساجد، فقال: نوّر الله قبر عمر كما نوّر مساجد الله بالقرآن، وكذلك يروى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه.

وفى لفظ آخر: أن عليًا رضى الله عنه اجتاز بالمساجد وهى تزهو بالقناديل والناس يصلون التراويح، فقال: نوّر الله عز وجل على عمر قبره كما نوّر مساجدنا.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «من علّق فى بيت من بيوت الله قنديلاً لم تزل الملائكة تستغفر له وتصلى عليه وهم سبعون ألف ملك حتى يطفأ ذلك القنديل»[1].

وعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه أنه قال: «صلينا مع رسول الله ﷺ فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون قام فصلى بنا حتى مضى ثلث الليل، ثم لما كانت الليلة الرابعة والعشرون لم يخرج إلينا، فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون خرج وصلى بنا حتى مضى شطر الليل، فقلنا له: لو نفلتنا ليلتنا هذه، فقال ﷺ: إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة، ولم يصل بنا فى الليلة السادسة والعشرين، فلما كانت الليلة السابعة والعشرون قام بنا وجمع أهله وصلى بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح، قيل: وما الفلاح؟ قال: السحور»[2].

---

(١) الدر المنثور ٣/ ٢١٧، وتنزيه الشريعة ٢/ ١٣٥، وكشف الخفاء ٢/ ٣٦٥.

(٢) الترمذى (٨٠٦)، والنسائى ٣/ ٢٠٢، وابن ماجه (١٣٢٧)، والكنز (٢٠٢٣٠).

(فصل) ويستحب لها الجماعة والجهر بالقراءة.

لأن النبى ﷺ صلاها كذلك فى تلك الليالى، ويكون ابتداؤها فى الليلة التى تكون صبحتها رمضان، لأنها ليلة من شهر رمضان، ولأن النبى ﷺ كذلك صلاها، ويكون فعلها بعد صلاة الفرض، وبعد ركعتى سنة بتسليمة، لأن النبى ﷺ هكذا صلاها وهى عشرون ركعة يجلس عقيب كل ركعتين، ويسلم، فهى خمس ترويحات، كل أربعة منها ترويحة، وينوى فى كل ركعتين: أصلى ركعتى التراويح المسنونة إمامًا كان أو مأمومًا.

ويستحب أن يقرأ فى الركعة الأولى منها فى أول ليلة من شهر رمضان بالفاتحة ثم يعقبها بسورة العلق وهى ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق...﴾ لأنها أول سورة نزلت من القرآن عند إمامنا أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله، وكذلك عند جميع أئمة الدين والسنة رضوان الله عليهم، ثم يسجد فى آخرها، ثم ينهض فيبدأ بسورة البقرة.

ويستحب له قراءة الختمة كاملة ليسمع الناس جميع القرآن فيقفوا على ما فيه من الأوامر والنواهى والمواعظ والزواجر، ولا يستحب الزيادة على ختمة واحدة، لئلا يشق ذلك على المأمومين فيضجروا وتلحقهم السآمة ويكرهوا الجماعة ويثقلوا بها، فيفوتهم أجر عظيم وثواب جزيل، فيكون ذلك بسبب الإمام فيعظم إثمه فيكون من الفاتنين، وقد قال النبى ﷺ فى مثل ذلك لمعاذ رضى الله عنه: «أفتّان أنت يا معاذ» وذلك لما صلى بقوم وطول فى القراءة وقطع أحدهم الصلاة وانفرد، ثم شكا ذلك إلى النبى ﷺ[1].

ويستحب تأخير الوتر إلى آخر صلاة التراويح، ويقرأ فى الركعة الأولى ﴿سبّح اسم ربك الأعلى...﴾، وفى الثانية بسورة «الكافرون»، وفى الثالثة سورة الإخلاص، لأن النبى ﷺ كذلك كان يصلى.

ويكره التنفل بين كل ترويحتين، ويكره أن يصلى التراويح فى مسجدين وكذلك صلاة النوافل فى جماعة بعد التراويح فى إحدى الروايتين، لأنه هو التعقيب، وذلك مكروه عند الإمام أحمد رحمه الله تعالى، روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه كرهه، بل ينام نومة خفيفة، ثم يقوم ويأتى بما شاء من النوافل والتهجد ثم يرجع إلى منامه، وهى ناشئة الليل التى أثنى الله عليها وذكرها وقال: ﴿إن ناشئة الليل هى أشد

(١) ابن أبى شيبة ١/٣٥٩، وأحمد ٣/٢٩٩، والكنز (٢٢٩٢٥).

وطئًا وأقوم قيلاً﴾ [المزمل:٦].

والرواية الثانية: إن ذلك جائز غير مكروه لكنه يؤخره لما روى عمر رضى الله عنه قال: تدعون فضل الليل آخره، الساعة التى تنامون بها أحب إلى من الساعة التى تقومون.

(فصل آخر: يختم به ما يتعلق بليلة القدر وجميع شهر رمضان)

قوله عز جل: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ [القدر ٤] إذا نزلت الملائكة والروح الذى هو جبريل عليه السلام ومعه سبعون ألف ملك وهو أمير عليهم، فجبريل عليه السلام يسلم على من كان قاعدًا، والملائكة تسلم على من كان نائمًا، والبارىء سبحانه وتعالى يسلم على عباده من كان قائمًا، كما جاز أن يسلم الله عز وجل على عباده المؤمنين من أهل الجنة فى الجنة بقوله: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ [يس:٥٨] جاز أن يسلم على عباده الأبرار فى الدنيا الذى سبقت لهم منا الحسنى والعناية والسعادة فى الأزل، الفانين عن الخلق الباقين بالرب، المطمئنين إلى الحق، فلا يبقى فى ليلة القدر بقعة إلا وعليها ملك ساجد أو قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات إلا أن تكون كنيسة أو بيعة أو بيت النار أو بيت الوثن، أو بعض أماكنهم التى يطرحون فيها الخبث، فلا يزالون يدعون ليلتهم تلك للمؤمنين والمؤمنات، وأما جبريل عليه السلام فلا يدع أحدًا من المؤمنين والمؤمنات إلاَّ ويسلم عليه ويصافحه ويقول له: إن كنت فى الطاعة فسلام عليك بالقبول والإحسان، وإن كنت فى المعصية فسلام عليك بالغفران، وإن كنت فى النوم فسلام عليك بالرضوان، وإن كنت فى القبر فسلام عليك بالروح والريحان، فهو قوله عز وجل: ﴿من كل أمر * سلام﴾ [القدر:٤ ـ ٥].

وقيل: إن الملائكة تسلم على أهل الطاعات ولا تسلم على أهل العصيان، فمنهم الظلمة ليس لهم نصيب فى سلام الملائكة، وآكل الحرام وقاطع الرحم والنمام وآكل أموال اليتامى، ليس لهم نصيب فى سلام الملائكة، فأى مصيبة أعظم من هذه المصيبة؟.

يمضى شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، ولا يكون لك حظ فى سلام ملائكة رب العصاة والأبرار، فهل كان ذلك إلاَّ لبعدك من الرحمن، وكونك من أهل الطغيان وموافقى الشيطان، وتحليك بحلية سالكى سبيل النيران؟ وبعدك وتجافيك عن سالكى سبيل الجنان، وهجرانك لطاعة من بيده الضرر والإحسان؟

فشهر رمضان شهر الصفاء وشهر الوفاء وشهر الذاكرين وشهر الصابرين وشهر الصادقين، فإذا لم يؤثر فى إصلاح قلبك وإقلاعك عن معاصى ربك ومجانبة أهل الشقاء والجرائم، فما الذى يؤثر فى قلبك؟ فأى خير يرجى منك؟ وأى بقية بقية فيك؟ وأى فلاح يترقب منك؟ فتنبه يا مسكين لما حل بك، واستيقظ من رقدتك وغفلتك، وانظر إلى الذى دهاك، وشيع بقية شهرك بالتوبة والإنابة، وتمتع فيها بالاستغفار والطاعة لعلك تكون ممن تناله الرحمة والرأفة، وودعها بإسبال العبرات، وابك على نفسك المشؤومة بالعويل والويل والنياحات، فكم من صائم لا يصوم غيره أبدًا، وكم من قائم لا يقوم بعده أبدًا، والعامل يعطى أجره عند فراغه من عمله وقد فرغنا من العمل، فليت شعرى أمقبول صيامنا وقيامنا أم مضروب بهما وجوهنا؟ يا ليت شعرى من المقبول منا فنهنيه؟ ومن المردود منا فنعزيه؟.

وقد قال النبى ﷺ: «رب صائم ليس له من صيامه إلاَّ الجوع والعطش ورب قائم ليس له من قيامه إلاَّ السهر»[1].

السلام عليك يا شهر الصيام، السلام عليك يا شهر القيام، السلام عليك يا شهر الإيمان، السلام عليك يا شهر القرآن، السلام عليك يا شهر الأنوار، السلام عليك يا شهر المغفرة والغفران، السلام عليك يا شهر الدرجات والنجاة من الدركات، السلام عليك يا شهر التائبين العابدين، السلام عليك يا شهر العارفين، السلام عليك يا شهر المجتهدين، السلام عليك يا شهر الأمان، كنت للعاصين حبسًا وللمتقين أنسًا، السلام على القناديل والمصابيح الزاهرة، والعيون الساهرة، والدموع الهاطلة، والمحاريب المتعطرة، والعبرات المنسكبة المتفطرة، والأنفاس الصاعدة من القلوب المحترقة.

اللهم اجعلنا ممن قبلت صيامهم وصلاتهم وبدلت سيئاته بحسناته، وأدخلته برحمتك فى جناتك، ورفعت درجاته برحمتك يا أرحم الراحمين.

* * *

(١) ابن ماجه (١٦٩)، وكشف الخفاء ١/٥١٣، والترغيب ٢/١٤٨

[مجلس]
فى ذكر يوم الفطر

قال الله تعالى: ﴿قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى﴾ [الأعلى ١٤ ـ ١٥].

قوله: ﴿قد أفلح﴾ فالفلاح على وجهين:

أحدهما: الفوز والنجاة من النيران فى العقبى ومن الآفات والبلايا فى الدنيا.

والثانى: اليمن والسعادة بالتوفيق للطاعة فى الدنيا والخلود فى الجنان فى الأخرى، قال الله عز وجل: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ [المؤمنون:١] يعنى سعدوا، ونظيره ﴿قد أفلح من تزكى﴾ [الأعلى.١٤] أى وفق للزكاة، وتطهيره إيمانه وتقواه من الآثام، وأما من لم يزكّ فلا فلاح له قال الله عز وجل: ﴿إنه لا يفلح المجرمون﴾ [يونس١٧٠] أى لا يفوزوا ولا يسعدوا.

وأما قوله: ﴿من تزكى﴾ فقد اختلف فى ذلك:

فقال ابن عباس رضى الله عنهما: يعنى من تطهر من الشرك بالإيمان.

وقال الحسن رحمه الله: ﴿من تزكى﴾ يعنى من كان صالحًا وعمله زاكيًا ناميًا.

وقال أبو الأحوص: عنى به عز وجل زكاة الأموال كلها.

وقال قتادة وعطاء رحمهما الله: أراد به زكاة الفطر لا غير.

وقوله: ﴿وذكر اسم ربه فصلى﴾ قد اختلف فى ذلك أيضًا:

فقال ابن عباس رضى الله عنهما: معناه وحد الله تعالى وصلى الصلوات الخمس.

وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه: ﴿ذكر اسم ربه﴾ بالتكبير و ﴿صلى﴾ يعنى خرج إلى العيد فصلى.

وقال وكيع بن الجراح رحمه الله: زكاة الفطر لرمضان كسجدة السهو للصلاة.

وفرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من الرفث فكأنها جبران للصائم لما دخله من النقصان بالآثام من اللغو والرفث والكذب والغيبة والنميمة وأكل الشبهات والنظر إلى المستحسنات، فجعلت الفطرة مكفرة لها ومتممة للصيام جابرة له، كالتوبة للذنوب والاستغفار لها، والسجود للسهو، فكما أن السجود للسهو شرع ترغيمًا

للشيطان إذ كان هو السبب فى ذلك، فكذلك التوبة عن المعاصى والفطرة لرمضان شرعتا ترغيمًا له، لأن المعاصى والرفث الحاصل فى الصيام بسببه، أعاذنا الله وجميع المؤمنين من مكايده ومصايده وغوائله، وسلمنا من آفات الدنيا وبلائها، وأخرجنا منها إلى رحمته وكرامته برحمته ومنّه آمين.

(فصل) وإنما سمى العيد عيدًا لأنه يعيد الله إلى عباده الفرح والسرور فى يوم عيدهم.

وقيل: إنما سمى عيدًا لأن فيه عوائد الإحسان من الله وفوائد الامتنان منه للعبد.

وقيل: لأنه يعود العبد فيه إلى التضرع والبكاء، ويعود الرب عز وجل فيه إلى الهبة والعطاء.

وقيل: لأنهم عادوا إلى مثل ما كانوا عليه من الطهارة.

وقيل: معناه عادوا من طاعة الله إلى طاعة الرسول ﷺ، ومن الفريضة إلى السنة، ومن صوم رمضان إلى صوم ستة أيام من شوال.

وقيل: إنما سمى عيدًا لأنه يقال للمؤمنين فيه: عودوا إلى منازلكم مغفورًا لكم.

وقيل: إنما سمى العيد عيدًا لأن فيه ذكر الوعد والوعيد، ويوم الجزاء والمزيد، ويوم عتق الإماء والعبيد، وإقبال الحق إلى القريب من خلقه والبعيد، ووجود الإنابة والأوبة من العبد الضعيف إلى الغفور الودود.

قال وهب بن منبه رحمه الله: خلق الله الجنة يوم الفطر، وغرس شجرة طوبى يوم الفطر، واصطفى جبريل عليه السلام للوحى يوم الفطر، والسحرة وجدوا المغفرة يوم الفطر.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم الفطر وخرج الناس إلى الجبانة اطلع الله عليهم فيقول: عبادى لى صمتم ولى صليتم انصرفوا مغفورًا لكم».

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «ليلة الفطر يوفى الله تعالى أجور من صام شهر رمضان، فيأمر الله تعالى غداة الفطر لملائكته فيهبطون إلى الأرض، ويقومون على أفواه السكك ومجامع الطرق فينادون بصوت يسمعه جميع الخلائق إلاّ الإنس والجن: يا أمة محمد أخرجوا إلى ربكم عز وجل، يشكر القليل ويعطى الجزيل ويغفر الذنب العظيم، فإذا برزوا إلى مصلاهم وصلوا ودعوا لم يدع لهم

الرب تبارك وتعالى حاجة إلاَّ قضاها ولا سؤالاً إلا أجابه ولا ذنبًا إلا غفره، فينصرفون مغفورًا لهم».

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما: «فإذا كانت ليلة الفطر سميت تلك الليلة ليلة الجائزة، وإذا كان غداة الفطر بث الله ملائكته فى كل البلاد، فيهبطون إلى الأرض فيقومون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه كل من خلق الله تعالى إلاَّ الجن والإنس، فيقولون: يا أمة محمد اخرجوا إلى رب كريم يعطى الجزيل ويغفر الذنب العظيم، فإذا برزوا إلى مصلاهم يقول الله تعالى لملائكته: يا ملائكتى، فيقولون: لبيك وسعديك، فيقول لهم: ما جزاء الأجير إذا عمل عمله؟ فيقولون: إلهنا وسيدنا ومولانا - توفيه أجره، فيقول جل جلاله: أشهدكم يا ملائكتى أنى قد جعلت ثواب صيامهم من شهر رمضان وقيامهم رضائى ومغفرتى، ثم يقول: يا عبادى سلونى فوعزتى وجلالى لا تسألونى اليوم فى جمعكم شيئًا لآخرتكم إلا أعطيتكم، ولا لدنياكم إلاَّ نظرت لكم، وعزتى وجلالى لأسترن عليكم عثراتكم ما راقبتمونى، ولا أخزيكم ولا أفضحكم بين أصحاب الحدود، انصرفوا مغفورًا لكم، قد أرضيتمونى ورضيت عنكم، قال: فتفرح الملائكة وتستبشر بما يعطى الله عز وجل هذه الأمة إذا أفطروا من شهر رمضان».

(فصل) وأربعة أعياد لأربعة أقوام:

أحدها: عيد قوم إبراهيم، قوله عز وجل: ﴿فنظر نظرة فى النجوم * فقال إنى سقيم﴾ [الصافات:٨٨ - ٨٩].

وذلك أن قومه خرجوا إلى عيد لهم فتخلف إبراهيم عليه السلام عنهم واعتل بعلة ولم يخرج معهم، لأنه لم يكن على دينهم، فلما خرجوا أخذ فأسًا وكسر أصنامهم، وجاء بالفأس فوضعه على عنق الصنم الكبير، فلما رجعوا قالوا: ﴿من فعل هذا بآلهتنا...﴾ [الأنبياء:٥٩] إلى قوله عز وجل: ﴿أأنت فعلت هذا بآيائنا يا إبراهيم﴾ [الأنبياء ٦٢] القصة إلى آخرها، فغار خليل الرحمن عليه السلام لربه، فأتعب يده بكسر الأصنام وخاطر بنفسه فى ولاية رب الأنام، فأكرمه ربه بالخلة، وأحيا على يده الطيور الميتة، وأخرج من ظهره أهل الرسالة والنبوة وجعله أبا المصطفى خير البرية ﷺ.

وأما العيد الثانى: فهو عيد قوم موسى كليم الرحمن عليه السلام، قوله عز جل: ﴿موعدكم يوم الزينة﴾ [طه ٥٩].

قيل: سمى يوم الزينة لأنه عز وجل زين موسى وقومه بإهلاك عدوهم فرعون وقومه، فخرج مع فرعون وقومه اثنان وسبعون ساحراً،

وقيل: ثلاثة وسبعون، ومعهم ستمائة ألف عصا وحبل، وجعلوا فى وسط العصا الزئبق، والخلائق قيام على الرمضاء، واشتد حرّ الشمس فسال الزئبق فسعت العصى الملتفة بالحبال، فتخيل للناس أنها حيات تسعى وهى لا تتحرك ﴿فأوجس فى نفسه خيفة موسى﴾ [طه:٦٧] على قومه، قال: ربما يتوهمون أن الذى فعلوه حق فينقص إيمانهم أو يرتدون، فقال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وألق عصاك﴾ [النمل:١٠] فألقاها فإذا هى تلقف ما يأفكون وألقى موسى عصاه فإذا هى حية كأعظم جمل يكون، ولها عينان تتقدان ناراً، ودمدمة وهيبة، فأقبلت على ما صنعوا من السحر والحبال والعصى فتلقفتها، يعنى التقمتها بأسرها ولم تتغير بانفتاخ بطن ونقصان حركة ولا زاد فى طولها ولا فى عرضها ﴿فألقى السحرة ساجدين﴾ [الشعراء:٤٦] له عز وجل وكان أكبرهم اسمه شمعون، فـ ﴿قالوا آمنا﴾ [الشعراء:٤٧] يعنى صدقنا بـ ﴿رب موسى وهارون﴾ [الشعراء:٤٨] ثم أقبلت الحية على عسكر فرعون وقومه فانهزموا.

وقيل: مات منهم خمسون ألفًا، القصة بطولها.

وأما الثالث: فهو عيد عيسى عليه السلام وقومه، قوله تعالى: ﴿اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك﴾ [المائدة:١١٤].

وذلك أن الحواريين قالوا: يا عيسى هل يستطيع ربك أن يعطيك إن سألته أن ينزل علينا مائدة من السماء، قال لهم عيسى عليه السلام: اتقوا الله فلا تسألوه البلاء إن كنتم مؤمنين، فإنها إن أنزلت ثم كذبتم بها عوقبتم ﴿قالوا نريد أن نأكل منها﴾ [المائدة:١١٣] فقد جعنا ﴿وتطمئن قلوبنا﴾ [المائدة:١١٣] يعنى تسكن قلوبنا إلى ما تدعونا إليه من الإيمان والتصديق ﴿ونعلم أن قد صدقتنا﴾ [المائدة:١١٣] بأنك نبى ورسول ﴿ونكون عليها﴾ [المائدة:١١٣] يعنى على المائدة ﴿من الشاهدين﴾ [المائدة:١١٣] عند بنى إسرائيل إذا رجعنا إليهم.

والحواريون هم الذين أجابوا عيسى عليه السلام حين مر بهم وهم ببيت المقدس يقصرون الثياب.

وبالنبطية: الحواريون: المبيضون للثياب، وهم اثنا عشر رجلاً لما قال لهم عيسى عليه

السلام: ﴿من أنصاري إلى الله﴾ [الصف ١٤، وآل عمران٥٢] يعني من ينصرني مع الله على أهل الكفر والطغيان فأدعوهم إلى طاعة الله تعالى وتوحيده فـ ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ [الصف ١٤، وآل عمران.٥٢] فتركوا معيشتهم واتبعوا عيسى عليه السلام يسبّحون معه أينما توجه من الأرض، فيرون العجائب والمعجزات التي تجرى على يده عليه السلام، فأي وقت جاعوا أو احتاجوا إلى الطعام أخرج عيسى يده فأخرج من الأرض لكل واحد منهم رغيفين ولنفسه كذلك، وكان جبريل عليه السلام يمشي معه ويريه العجائب ويؤيده ويبصره بالأشياء، فما زال عيسى عليه السلام يرى بني إسرائيل العجائب ولم يزدهم ذلك إلا بعداً من تصديقه واتباعه، حتى خرج معه يومًا خمسة آلاف بطريق من بني إسرائيل وسألوه المائدة مع الحواريين، فقال عيسى ابن مريم عليه السلام عند ذلك: ﴿اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا﴾ [المائدة:١١٤].

يقول: تكون عيداً لمن كان في زماننا عند نزول المائدة، وتكون عيداً لمن بعدنا، وتكون المائدة ﴿آية منك وارزقنا﴾ [المائدة:١١٤] يعني المائدة ﴿وأنت خير الرازقين﴾ [المائدة ١١٤] من غيرك فإنك خير من يرزق ﴿قال الله﴾ [المائدة ١١٥] تعالى: ﴿إني منزلها﴾ [المائدة ١١٥] يعني المائدة عليكم ﴿فمن يكفر بعد منكم﴾ [المائدة ١١٥] أي بعد نزولها منكم ﴿فإني أعذبه عذابًا لا أعذبه أحداً من العالمين﴾ [المائدة:١١٥] فأنزلها الله عليهم يوم الأحد من السماء سمكًا طريًا وخبزاً رقاقًا وتمراً.

وقيل: كانت سفرة فيها سمكة مشوية، وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وفيها خمسة أرغفة، على كل رغيف زيتونة، وخمس رمانات وتمرات قد نضد حولها من البقول ما خلا الكراث.

وقيل: إن عيسى عليه السلام قال لأصحابه وهم جلوس في روضة: هل مع أحد منكم شيء؟ فجاء شمعون بسمكتين صغيرتين وخمسة أرغفة، وجاء آخر بشيء من السويق، فعمد عيسى عليه السلام فقطعهما صغاراً وكسر الخبز فوضعه فلقًا، ووضع السويق، وتوضأ ثم صلى ركعتين ودعا ربه، فألقى الله سبحانه وتعالى على أصحابه شبه السبات، ففتح القوم أعينهم وزاد الطعام حتى بلغ الركب، فقال عيسى عليه السلام للقوم: كلوا وسمّوا الله ولا ترفعوا، وأمرهم أن يجلسوا حلقًا حلقًا، فجلسوا وأكلو

حتى شبعوا وهم خمسة آلاف رجل، وقيل إنهم كانوا ألف رجل وثمانمائة رجل وامرأة من بين فقير وجائع وبين من له فاقة إلى رغيف واحد، فصدروا كلهم شباعًا يحمدون ربهم، وإذا ما عليها كهيئته، ورفعت السفرة إلى السماء وهم ينظرون، قال فاستغنى كل فقير أكل منها يومئذٍ فلم يزل غنيًا حتى مات، وبرىء كل زمن وشفى كل مريض.

وقال مقاتل: فنادى عيسى عليه السلام: أكلتم؟ قالوا: نعم، قال: فلا ترفعوا، قالوا: لا نرفع ورفعوا، فبلغ كل ما رفعوا من الفضل أربعة وعشرين مكتلاً، فآمنوا عند ذلك بعيسى عليه السلام وصدقوا به ثم رجعوا إلى قومهم اليهود، يعنى بنى إسرائيل ومعهم فضل المائدة، فلم يزل بهم قومهم حتى ارتدوا عن الإسلام، وكفروا بالله تعالى، وجحدوا بنزول المائدة، فمسخهم الله عز وجل وهم نيام خنازير ذكور، وليس فيهم صبى ولا امرأة.

وقيل فى ذلك إشارة: مائدة وضع عليها طعام محدود، صدر عنها الجم الغفير والجمع الكثير وهى بحالها، فكيف بمائدة الرضا وبساط الرحمة التى لا حد لها ولا نهاية.

ففى الخبر «إن لله عز وجل مائة رحمة، واحدة أنزلها إلى خلقه فبها يتراحمون وبها يتعاطفون، وأخَّر تسعة وتسعين عنده يرحم بها عباده يوم القيامة»[1].

وفى خبر آخر «أن يوم القيامة يبسط الجليل جل جلاله بساط المجد يدخل ذنوب الأولين والآخرين فى حواشيه ويبقى البساط فارغًا حتى يتطاول لها إبليس رجاء أن تصيبه».

ومع ذلك لا ينبغى لكل عاقل لبيب أن يتكل على ذلك ويغتر به، ولا يغلبه الرجاء فيهلك، بل يبذل مجهوده ويستفرغ وسعه فى أداء الأوامر وانتهاء النواهى وتسليم الأمور والقدر إلى الله عز وجل، ويكثر من الاستغفار والتوبة، ويكون أبدًا على حذر، لا خوف مؤيس من رحمة الله، ولا رجاء يوقع فى ارتكاب المحارم وإهمال الأوامر، بل يبتغى بين ذلك سبيلاً، كما قيل: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا، فليكن خوفه ورجاؤه كجناحى الطائر، والطائر لا يطير بجناح واحد.

وأما العيد الرابع: فهو عيد أمة محمد ﷺ وقد ذكرنا ما يتعلق به أول المجلس.

---

(١) حسن الظن (٥).

(فصل) يشترك المؤمن والكافر فى العيد، فكل له عيد، فالمؤمن عيده لرضا الرحمن، والكافر عيده لرضا الشيطان، المؤمن يذهب إلى عيده وعلى رأسه تاج الهداية وعلى عينيه علامة فكرة العبرة، وعلى أذنيه استماع الحق، وعلى لسانه الشهادة بالتوحيد، وفى قلبه المعرفة واليقين، وعلى عنقه رداء الإسلام، وفى وسطه منطقة العبودية، ومعدنه المحاريب والمساجد، ومعبوده رب العباد والبرية، ثم التضرع منه والسؤال، ويقابله الرب بالإجابة والنوال، ثم يحله دار الكرامة والجنان.

والكافر يذهب إلى عيده وعلى رأسه تاج الخسران والضلال، وعلى أذنيه ختم الغفلة والحجاب، وعلى عينيه السهو والشهوات، وعلى لسانه ختم الشقاوة والإبعاد، وعلى قلبه ظلمة النكرة والجحود، وعلى وسطه زنار الفرقة والشقاق، وموضعه البيعة والكنائس أو بيت النار، ومعبوده الوثن والأصنام، ومصيره آخراً إلى جهنم والنيران.

(فصل) ليس العيد بلبس الناعمات وأكل الطيبات ومعانقة المستحسنات والتمتع باللذات والشهوات.

لكن العيد بظهوره علامة القبول للطاعات، وتكفير الذنوب والخطيئات، وتبديل السيئات بالحسنات، والبشارة بارتفاع الدرجات، والخلع والطرف والهبات والكرامات، وانشراح الصدر بنور الإيمان، وسكون القلب بقوة اليقين وما ظهر عليه من العلامات، وانفجار بحور العلوم من القلوب على الألسنة وأنواع الحكم والفصاحة والبلاغة.

كما قيل: إن رجلاً دخل على على رضى الله عنه وكرّم الله وجهه فى يوم عيد وهو يأكل الخبز الخشكار فقال له: اليوم يوم العيد وأنت تأكل الخبز الخشكار؟ فقال: اليوم عيد لمن قبل صومه، وشكر سعيه، وغفر ذنبه، اليوم لنا عيد وغداً لنا عيد، وكل يوم لا نعصى الله فيه فهو لنا عيد.

فينبغى لكل عاقل أن يترك النظر إلى الظاهر ولا يتقيد به، بل يكون نظره فى يوم العيد نظر التفكر والاعتبار، فيشبه العيد بيوم القيامة، فليذكر نفخ الصور يوم القيامة عند سماع صوت بوق السلطان ليلة العيد، وإذا بات الناس ليلة العيد ورقدوا منتظرين عيدهم متأهبين له، فيذكر الرقود بين النفختين، وإذا رأى الناس صبيحة يوم العيد وقد خرجوا من قصورهم وبيوتهم مختلفى الأحوال متفاوتى اللباس والألوان كل له زى وحلية، واحد منهم مسرور وواحد مغموم، وواحد راكب وآخر ماش، وواحد غنى

وآخر فقير، وواحد فى فرحة وآخر فى ترحـة، فليذكر تفاوت أهل القيامة، أهل الطاعة مسرور وأهل المعـصية مغموم، المتقى راكب والمجـرم المشرك متعثر مكبـوب على وجهه مسحوب أو ماش.

كما قال عز من قائل: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدًا﴾ [مريم ٨٥] أى ركبانًا على النجائب ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردًا﴾ [مريم.٨٦] أى عطاشًا.

والزاهد والعارف والبدل كل واحد فى راحة وغنى عند مليكهم ومحبوبهم تحت ظل العرش عليهم الحلى والحلل، وأنوار الطاعات والمعارف على وجوههم ظاهرة وهى نضرة مشرقة، وبين أيديهم موائد عليها أنواع الأطعمـة والأشربة والفواكه حتى يقضى حساب الخلائق، ثم يصيرون إلى الجنة إلى مـنازلهم التى أعد الله تعالى لهم، وفيها ما تشـتهيه الأنفس وتلذ الأعين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

كما قـال الله تعالى: ﴿فـلا تعلم نفس مـا أخفى لهم من قـرة أعـين جزاء بما كـانوا يعملون﴾ [السجدة:١٧].

وأما الراغب فى الدنيا فهو فى نياحة وبكاء وعناء، ومصدود عما فيه القوم من النعم بدنياه، وتناوله الحرام والشبهات، وتخليطه فى طاعة ربه، وهو يرى مكانه فى الجنة فلا يصل إليه حتى يخرج مما عليه من الحقوق.

والكافـر ينادى بالويل والثبـور لما قد عـاين وانكشف له من أنواع العـذاب والنكال والهوان والهلاك والخـلود فى النيران، وإذا رأى الأعلام قد نشرت والألـوية قد ضربت فليذكر أهل الإسلام أصحاب الأعلام حين ينادى منادى الرحمن بالتوجه إلى زيارة رب الأنام إلى دار السلام بأمر السلام.

وإذا رأى الصفوف قد اسـتكملت والخلائق قد اجتمعت فليـذكر وقوف الخلائق بين يدى الجبار وصفوف الفجار والأبرار يوم النشر الذى فيه تظهر الأسرار.

وإذا رأى الناس قـد انصرفوا من الجـبانة فكل يرجـع إلى ما قد قـسم له من دار أو مسجـد أو خان، فليذكر منصـرف الخلائق من بين يدى الملك المنان الديان إلى الجنة أو إلى النار كما قال ذو العظمة والامتنان: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾ [الروم ١٤] ﴿فريق فى الجنة وفريق فى السعير﴾ [الشورى ٧].

* * *

مجلس
فى فضائل أيام العشر

قوله عز وجل: ﴿والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر * والليل إذا يسر * هل فى ذلك قسم لذى حجر﴾ [الفجر ١ ـ ٥].

﴿والفجر﴾ اختلف الناس فى ذلك، فقال ابن عباس رضى الله عنهما عنى بالفجر: صلاة الصبح، ﴿وليال عشر﴾ هى عشر ذى الحجة ﴿والشفع﴾ الخلق ﴿والوتر﴾ هو الله ﴿والليل إذا يسر﴾ يعنى إذا ذهب ﴿هل فى ذلك قسم لذى حجر﴾ أى إن ذلك قسم لذى لب وعقل، وجواب القسم قوله تعالى: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ [الفجر ١٤].

وقال مقاتل رحمه الله: ﴿والفجر﴾ عنى به: غداة جمع يوم النحر، ﴿وليال عشر﴾ وهى عشر ليال قبل الأضحى، وإنما سماها عز وجل: ليال عشر، لأنها تسعة أيام وعشر ليال، ﴿والشفع والوتر﴾ أما الشفع: فآدم وحواء عليهما السلام، والوتر: فهو الله عز وجل، ﴿والليل إذا يسر﴾ إذا أقبل، وهى ليلة الأضحى، فأقسم عز وجل بيوم النحر والعشر وبآدم وحواء، وأقسم بنفسه تبارك وتعالى وبليلة الأضحى، فلما فرغ منها قال: ﴿هل فى ذلك قسم لذى حجر﴾ يعنى: هل فى ذلك القسم كفاية لذى لب، يعنى ذا عقل، فيعرف عظم هذا القسم ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾.

وقيل: المراد بالفجر: فجر النهار، وقيل: هو النهار، فعبر عنه بالفجر، لأنه أوله.

وقال مجاهد رحمه الله: هو فجر يوم النحر خاصة.

وقال عكرمة رحمه الله: أقسم الله تعالى بانفجار المياه من العيون والنبات من الأرض، والثمار من الشجر.

وقيل: أقسم الله بانفجار الماء من أصابع النبى ﷺ.

وقيل: أقسم الله بانفجار الصخرة وخروج الناقة لصالح.

وقيل: أقسم الله تعالى بانفجار الماء من الحجر بعصا موسى عليه السلام.

وقيل: أقسم الله بانفجار الماء من عيون العصاة.

وقيل: أقسم الله تعالى بانفجار المعرفة من القلوب كما قال الله تعالى: ﴿أومَن كان

يتًا فأحييناه﴾ [الأنعام:١٢٢] يعنى بالإيمان والمعرفة، وأيضًا قوله تعالى: ﴿وليال عشر﴾.

روى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ أنه قال: «﴿والفجر وليال عشر﴾: هى عشر الأضحى»

وقال ابن الزبير وابن عباس رضى الله عنهم: إنها عشر ذى الحجة، وعن ابن عباس رضى الله عنهما، فى رواية أخرى: إنه العشر الأواخر من شهر رمضان.

وقال مجاهد رحمه الله: إنها عشر موسى عليه السلام.

وقال محمد بن جرير الطبرى رحمه الله: إنها عشر أول المحرم.

قوله تعالى: ﴿والشفع والوتر﴾:

قال قتادة والسدى رحمهم الله: الشفع: كل اثنين، والوتر. هو الله تعالى.

وقيل: هما آدم وحواء، وهو قول مقاتل، وهو أن آدم كان وترًا فشفع بزوجته حواء.

وقيل: الصلاة منها شفع، ومنها وتر.

قال الربيع بن أنس وأبو العالية رحمهم الله: هى صلاة المغرب الشفع فيها ركعتان، والوتر الثالثة.

وقيل: الشفع هو يوم النحر، لأنه العاشر، والوتر هو يوم عرفة لأنه التاسع.

وقيل: الشفع يومان بعد النحر، والوتر اليوم الثالث.

قوله تعالى: ﴿والليل إذا يسر﴾ يعنى إذا ذهب.

وقيل: إذا أظلم. وقيل: إنه ليلة المزدلفة خاصة. وقيل: يعنى إذا سرى فيه أهله، لأن السرى: هو سرى الليل.

وقوله تعالى: ﴿هل فى ذلك قسم لذى حجر﴾ يعنى لذى عقل، وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما.

وقال الحسن وأبو رجاء رحمهما الله: لذى علم، وقال محمد بن كعب رحمه الله لذى دين، معناه: إن فى ذلك قسم لذى حجر، و «هل» هاهنا فى موضع «إن».

ومعنى قوله عز وجل: ﴿والفجر * وليال عشر﴾ وحق رب الفجر، وحق رب ليالٍ عشر إلى آخر القسم، وكذلك فيما شاكل ذلك كقوله تعالى. ﴿والشمس وضحاها﴾ [الشمس:١]، ﴿والسماء والطارق﴾ [الطارق:١]، ﴿والسماء ذات البروج﴾ [البروج ١] وغيرها.

فصل

فيما ورد فى عشر ذى الحجة من كرامات الأنبياء
وما نقل فى ذلك من الأخبار والأنباء وفضائل الأعمال

أخبرنا الشيخ أبو البركات، قال: أنبأنا الشيخ الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب، قال: أنبأنا محمد بن أحمد بن زرقونة، قال: أنبأنا محمد بن عبد الله الشافعى رحمه الله، قال: أنبأنا محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بحلب، قال: أنبأنا عمرو بن عثمان، قال: أنبأنا الوليد، عن ابن المبارك، عن خالد الحذاء، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضى الله عنهما أنه قال فى عشر ذى الحجة: قبل الله توبة آدم، وتاب عليه بعرفة، لأنه اعترف بذنبه.

وفيه وجد إبراهيم الخليل عليه السلام الخلة فبذل ماله للضيفان، ونفسه للنيران، وولده للقربان، وقلبه للرحمن، ولم يصح لأحد التوكل إلاَّ لإبراهيم خليل الرحمن.

وفيه بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة الشريفة قال الله تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾ [البقرة:١٢٧].

وفيه أكرم الله موسى عليه السلام بالمناجاة.

وفيه نزلت على داود المغفرة وفيه كانت ليلة المباهاة.

وقيل: فيه افتتاح نزول القرآن بكرة يوم الأضحى والنبى ﷺ متوجه إلى المصلى.

وفيه كانت بيعة الرضوان، فأنزل الله تعالى: ﴿إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ [الفتح:١٨] وهى شجرة سمرة كان ذلك يوم الحديبية، وأصحاب رسول الله ﷺ ألف وأربعمائة رجل، وقيل: ألف وخمسمائة رجل، وأول من أطلق يده للمبايعة أبو سنان الأسدى، عليه وعلى جميع الصحابة رحمة الله تعالى وبركاته وتحياته والتابعين لهم بإحسان.

وفيه يوم التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر وهو يوم الحج الأكبر، وأخبرنا الشيخ أبو البركات، عن أحمد بن على الحافظ، بإسناده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «سيد الشهور شهر رمضان، وأعظمها حرمة ذو الحجة»[1].

وأخبرنا الشيخ أبو البركات، عن الفضل بن محمد القصار الأصفهانى قال: أنبأنا أبو

(١) المجمع ٣/ ١٤٠.

سعيد الحسن بن على بن سهلان، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد الوراق قال: أخبرنا أبو بكر البزار، قال: أخبرنا أبو كامل الفضل بن الحسين الجحدرى، قال: أنبأنا أبو عاصم بن هلال، عن أيوب، عن ابن الزبير، عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «أفضل أيام الدنيا أيام عشر ذى الحجة، قيل: ولا مثلها فى سبيل الله؟ قال: ولا مثلها فى سبيل الله، إلاَّ رجل عفر وجهه فى التراب»(١).

وأخبرنا الشيخ أبو البركات عن القاضى أبى المضفر هناد بن إبراهيم البخارى النسفى بإسناده عن عطاء بن أبى رباح، قال: سمعت عائشة رضى الله عنها قالت: «كان على عهد رسول الله ﷺ رجل يحب السماع يعنى الغناء، وكان إذا أهل هلال ذى الحجة أصبح صائمًا، فاتصل الحديث برسول الله ﷺ فأحضروا الرجل وقال له: «ما حملك على صيام هذه الأيام، فقال: يا رسول الله إنها أيام مشاعر وأيام الحج، فأحببت أن يشركنى الله تعالى فى دعائهم فقال له النبى ﷺ: لك بعدد كل يوم تصومه عتق مئة رقبة ومئة بدنة تهديها، ومئة فرس تحمل عليها فى سبيل الله، فإذا كان يوم التروية، فلك عتق ألف رقبة وألف بدنة تهديها فى سبيل الله وألف فرس تحمل عليها فى سبيل الله، فإذا كان يوم عرفة فلك عتق ألفى رقبة وألفى بدنة تهديها وألفى فرس تحمل عليها فى سبيل الله، وصيام سنة قبلها وسنة بعدها».

وأخبرنا الشيخ أبو البركات بإسناده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله عز وجل منه فى هذه الأيام، يعنى أيام العشر، قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد فى سبيل الله، إلاَّ رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشىء»(٢).

وأخبرنا الشيخ أبو البركات، عن أبى بكر بن أحمد بن على بن ثابت الحافظ بإسناده عن هبيرة بن خالد الخزاعى، عن حفصة رضى الله عنها أنها قالت: «أربع لم يكن النبى ﷺ يتركهن: صوم عشر ذى الحجة، وعاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر، وركعتين قبل الغداة».

وأخبرنا الشيخ أبو البركات، عن حمزة بن عيسى بن الحسن الوراق بإسناده عن

---

(١) ابن عدى ٧/ ٢٥٢٣.

(٢) أحمد ١/ ٣٤٦.

سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «ما من أيام أحب إلى الله تعالى أن يتعبد له فيهن من أيام عشر ذى الحجة، وإن صيام يوم يعدل صيام سنة، وقيام ليلة كقيام سنة»[1].

وأخبرنا الشيخ أبو البركات عن الحسن بن أحمد المقرئ بإسناده، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «من صام أيام العشر كتب الله له بكل يوم صوم سنة»[2].

وعن سعيد بن جبير رحمه الله أنه كان يقول: لا تطفئوا سرجكم ليال العشر، ويأمر بإيقاظ الخدم، وتعجبه فيه العبادة.

(فصل) وأما الصلاة الواردة فى أيام العشر:

فما أخبرنا به الشيخ أبو البركات، عن الشريف أبى عبد الله محمد بن على بن محمد بن يحيى بن المهدى بإسناده، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها، عن النبى ﷺ أنه قال: «من أحيا ليلة من ليالى عشر ذى الحجة، فكأنما عبد الله عبادة من حج واعتمر طول سنته، ومن صام فيها يومًا فكأنما عبد الله تعالى سائر سنته».

وأخبرنا الشيخ أبو البركات عن محمد بن محمد بن عبد العزيز الشاهد بإسناده عن جعفر بن محمد بن على بن الحسين، عن أبيه محمد بن على، عن أبيه على بن الحسين زين العابدين، عن أبيه الحسين بن على، عن أبيه على رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا دخل عشر ذى الحجة، فجدُّوا فى الطاعة، فإنها أيام فضلها الله تعالى وجعل حرمة ليلها كحرمة نهارها، فمن صلى فى ليلة من ليالى العشر فى الثلث الأخير أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة بالحمد مرة، والمعوذتين، ويكرر سورة الإخلاص ثلاثًا، ويقرأ آية الكرسى، ويكرر ذلك فى كل ركعة، فإذا فرغ من صلاته رفع يديه وقال: سبحان ذى العزة والجبروت، سبحان ذى القدرة والملكوت، سبحان الله الحى الذى لا يموت، لا إله إلا هو يحيى ويميت، وهو حى لا يموت، سبحان الله رب العباد والبلاد، والحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا على كل حال، الله أكبر كبيرًا، ربنا جل

(١) الإتحاف ٤/ ٢٥٧، والعلل المتناهية ٢/ ٧٢، وشرح السنة ٤/ ٣٤٦، والترغيب ٢/ ١٩٩.
(٢) الكنز (٢٤٢٦٥)، وابن عدى ٦/ ٤٧٢.

جلاله وقدرته بكل مكان ـ قال الشيخ: يعنى علمه بكل مكان ـ ثم يدعو بما شاء، فإن له من الأجر بإزاء من حج إلى بيت الله الحرام وزار قبر النبى ﷺ وجاهد فى سبيل الله، ولم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه، وإن صلاها فى كل ليلة من ليالى العشر، أحله الله تعالى الفردوس الأعلى، ومحا عنه كل سيئة، وقيل له: استأنف العمل، فإذا كان يوم عرفة، وصام نهارها، وصلى ليلها، ودعا بهذا الدعاء، وأكثر التضرع بين يدى الله تعالى يقول الله: يا ملائكتى اشهدوا أنى قد غفرت له وأشركته بالحجاج إلى بيتى، قال: فتستبشر الملائكة بما يعطى الله تعالى ذلك العبد بصلاته ودعائه[1].

(فصل) والعشر لخمسة أنبياء عليهم السلام:

الأول: عشر آدم عليه السلام، وهو أنه لما خلق الله حواء من ضلعه الأيسر القصير وهو نائم، فاستيقظ من سنته، فرأى حواء جالسة عنده، فقال لها: لمن أنت؟ قالت: لك، فأراد أن يمسها، فقيل له. لا تمسها حتى تعطى مهرها، قال: إلهى وما مهرها؟ قال الله تعالى: هو أن تصلى على نبى آخر الزمان عشراً فذلك مهرها.

والثانى: عشر إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿**وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن**﴾ [البقرة:١٢٤] وهى عشر خصال: خمس منها فى الرأس: الفرق، وقص الشارب، والسواك، والمضمضة، والاستنشاق، وخمس منها فى البدن: وهى تقليم الأظفار، ونتف الإبطين، والختان، وحلق العانة، وتخليل الأصابع.

فلما أتم إبراهيم عليه السلام هذه الخصال العشرة أكرمه الله تعالى بالخلة، قوله تعالى: ﴿**واتخذ الله إبراهيم خليلاً**﴾ [النساء ١٢٥].

والثالث: عشر شعيب النبى عليه السلام، قوله عز وجل: ﴿**فإن أتممت عشراً فمن عندك**﴾ [القصص ٢٧] وهو أنه أجره موسى عليه السلام نفسه عشر سنين، فكان أجرته مهر ابنة شعيب النبى عليه السلام.

وقيل: إن شعيبًا عليه السلام بكى عشرين سنة حتى ذهب بصره، فرد الله بصره عليه فأوحى الله إليه: يا شعيب إن كنت تخاف النيران فقد أمنتك، وإن كنت تريد الجنان فقد وهبت لك، وإن كنت تطلب الرضوان فقد أعطيتك، فقال: يا جبريل ليس بكائى حبًا للجنان، ولا خوفًا من النيران، ولكن شوقًا إلى لقاء الرحمن، فقال الله عز وجل:

---

(١) الدارقطنى ٤/ ٢٧٨.

الآن حق لك، فابك ثم ابك ثم عوض لبكائه وهو أن جعل الله نبيه موسى عليه السلام خادمًا له عشر سنين، جزاء لما كان من بكائه على محبته، سوى ما قد ادخر له عنده من الكرامات والمنازل العاليات والقرب منه تبارك وتعالى، والنظر إلى وجهه الكريم، وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

والرابع: عشر موسى عليه السلام، قوله عز وجل: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر﴾ [الأعراف:١٤٢].

وذلك أن الله عز وجل وعد موسى عليه السلام المناجاة، وأعطاه التوراة، فصام موسى عليه السلام ثلاثين يومًا، وكان ذلك شهر ذى الحجة، وقيل: إنه شهر ذى القعدة، فلما قصد المناجاة وضع قطعة زيتون فى فيه لما شاهد من تغير رائحة فمه، فقال عز وجل: يا موسى أما علمت أن خلوف فم الصائم عندى أطيب من ريح المسك؟ ثم أمره أن يصوم عشراً من المحرم آخرها يوم عاشوراء.

وعلى قول من قال: الشهر كان ذا القعدة، فيكون عشر ذى الحجة، ثم قربه وأكرمه بالمناجاة والقربة، قوله عز وجل: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا﴾ [الأعراف:١٤٣].

والخامس: عشر نبينا المصطفى ﷺ قوله تعالى: ﴿والفجر * وليال عشر﴾ [الفجر:١-٢] يعنى عشر ذى الحجة، وقد ذكرناه.

(فصل) وقيل: من أكرم هذه الأيام العشرة أكرمه الله تعالى بعشر كرامات:

البركة فى عمره، والزيادة فى ماله، والحفظ لعياله، والتكفير لسيئاته، والتضعيف لحسناته، والتسهيل لسكراته، والضياء لظلماته، والتثقيل لميزانه، والنجاة من دركاته، والصعود على درجاته.

ومن تصدق فى هذه الأيام العشر بصدقة على مسكين، فكأنما تصدق على أنبيائه ورسله، ومن عاد فيها مريضًا فكأنما عاد أولياء الله وبدلائه، ومن شيع جنازة فكأنما شيع جنائز شهدائه، ومن كسا مؤمنًا كساه الله تعالى من حلله، ومن لطف فيها بيتيم لطف الله تعالى به فى القيامة تحت ظل عرشه، ومن حضر مجلسًا من مجالس العلم، فكأنما حضر مجالس أنبياء الله ورسوله.

وقال وهب بن منبه رحمه الله: إن آدم عليه السلام لما أُهبط إلى الأرض بكى على ذنبه ستة أيام، ثم أوحى الله إليه فى اليوم السابع وهو محزون كظيم منكس رأسه، يا

آدم ما هذا الجهد الذى بك؟ فقال: إلهى عظمت مصيبتى، وأحاطت بى خطيئتى، وصرت فى دار الهوان بعد الكرامة، وفى دار الشقاوة بعد السعادة، وفى دار الموت والفناء بعد الخلد والبقاء، فكيف لا أبكى على خطيئتى؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم أما اصطنعتك لنفسى، ثم اصطفيتك على خلقى، وخصصتك بكرامتى، وألقيت عليك محبتى؟ أما خلقتك بيدى وأسجدت لك ملائكتى؟ ألم تكن فى بحبوحة كرامتى ومنتهى رحمتى، فعصيت أمرى، ونسيت عهدى؟ فكيف نسيت نعمتى؟ فوعزتى وجلالى لو ملأت الأرض رجالاً كلهم مثلك يعبدونى ويسبحونى الليل والنهار ولا يفترون ثم عصونى لأنزلتهم منازل العاصين.

قال: فبكى عند ذلك ثلاث مئة عام على جبل الهند تجرى دموعه فى أودية جبالها فنبتت من تلك الدموع أشجار طيبة، فقال له جبريل عليه السلام: اذهب إلى بيت الله الحرام، واصبر حتى تدخل أيام العشر، ثم تب إلى الله لعله يرحم ضعفك، فمضى فكان يخطو خطوة، فكان موضع قدميه عمرانًا، وما بينهما مفاوز.

وقيل: كان بين قدميه ثلاثة فراسخ، حتى أتى البيت، فطاف بالبيت أسبوعًا، وبكى حتى خاض فى دموعه إلى ركبتيه، وجرت على الأرض، فقال: لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءًا، وظلمت نفسى فاغفر لى وأنت خير الغافرين، وارحمنى إنك أرحم الراحمين، فأوحى الله إليه: يا آدم قد رحمت ضعفك، وغفرت ذنبك، وقبلت توبتك، فذلك قوله عز وجل: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ [البقرة:٣٧] فوجد آدم من بركات أيام العشر ـ التوبة.

وكذلك المؤمن الذى عصى ربه واتبع هواه فى معصية مولاه إذا تاب وأناب، وانقاد لطاعة مولاه فى هذه الأيام يتفضل عليه بالرحمة والغفران، وإبدال السيئات بالحسنات برحمة منه.

(فصل) وقد أقسم الله تعالى بـ ﴿الفجر وليال عشر * والشفع والوتر * والليل إذا يسر...﴾ إلى قوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ وهى ثمان قناطر على جسر جهنم، فيسئل العبد فى أول موقف منها عن الإيمان بالله، فإن كان مؤمنًا نجا، وإلا تردّى فى النار، ثم جاز إلى الثانى فيسئل عن الوضوء والصلاة، فإن قصر فيهما تردّى إلى النار، وإن أكمل ركوعها وسجودها نجا، ثم جاز إلى الثالث فيسئل عن الزكاة، فإن كان قد أدّاها نجا، ثم

جاز إلى الرابع، فيسئل عن الصيام، فإن كمل صيامه نجا، ثم جاز إلى الخامس فيسئل عن الحجّ والعمرة، فإذا كان أدّاهما نجا، ثم جاز إلى السادس فيسئل عن الأمانة، فإن لم يخن فيها نجا، ثم جاز إلى السابع فيسئل عن الغيبة والنميمة والبهتان، فإن لم يكن اغتاب نجا، ثم جاز إلى الثامن فيسئل عن أكل الحرام، فإن لم يكن أكل نجا وإلا تردّى في النار.

* * *

[مجلس]
فى ذكر يوم التروية

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وأذِّن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً﴾ [الحج.٢٧] وهذه الآية فى سورة الحج، وهى من أعاجيب سور القرآن العظيم، لأن فيها مكيًا ومدنيًا وحضريًا وسفريًا وليليًا ونهاريًا، وفيها ناسخ ومنسوخ.

فأما المكى فمن رأس ثلاثين آية منها إلى آخرها، وأما الآيات المدنية فمن رأس خمسة عشر إلى رأس الثلاثين، وأما الليالىّ منها فمن أولها إلى رأس خمس آيات، وأما النهارى منها فمن رأس خمس إلى رأس تسع، وأما الحضرى منها فإلى رأس العشرين، ونسب ذلك إلى المدينة لقربها منها.

وأما الناسخ، فقوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون﴾ [الحج·٣٩].

وأما المنسوخ فثلاث آيات ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى﴾ [الحج.٥٢] نسخت بقوله تعالى: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ [الأعلى ٦].

والثانية: قوله تعالى: ﴿فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ [البقرة:١١٣] فنسخت بآية السيف.

والثالثة: ﴿وجاهدوا فى الله حق جهاده﴾ [الحج ٧٨] فنسخت بقوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ [التغابن:١٦].

قوله تعالى: ﴿وأذن فى الناس بالحج﴾ [الحج ٢٧] أى ناد يا إبراهيم ذريتك وغيرهم من بنى آدم من المؤمنين بالحج ﴿يأتوك رجالاً﴾ [الحج.٢٧] أى يجيئون إليك رجالاً على أرجلهم ﴿وعلى كل ضامر﴾ [الحج·٢٧] يعنى ركبانًا على الإبل ﴿يأتين من كل فج عميق﴾ [الحج:٢٧] يعنى من كل أرض بعيدة وطريق بعيد.

قال الله تعالى ذلك لإبراهيم عليه السلام حين فرغ من بناء البيت الحرام، وقال: إلهى من يقصد هذا البيت؟ فأمره أن يؤذن فى الناس بالحج، فصعد أبا قبيس وهو الجبل الذى الصفا فى أصله، فنادى بأعلى صوته: يا أيها الناس أجيبوا ربكم إن الله يأمركم أن تحجوا بيته، فسمع نداء إبراهيم كل مؤمن ومؤمنة على وجه الأرض.

وقيل من فى أصلاب الرجال وأرحام النساء، فالتلبية اليوم جواب نداء إبراهيم عليه السلام عن أمر ربه، فأجابوا كلهم: لبيك لبيك فمن أجاب ذلك اليوم لا يخرج من الدنيا حتى يزور هذا البيت.

(فصل: فى فضل من أحرم بالحج ولبى وقصد البيت وإليه دنا)

روى مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كنا مع رسول الله ﷺ إذ أقبلت طائفة من اليمن قالوا: فداك الأمهات والآباء، أخبرنا بفضائل الحج، قال: نعم، أى رجل خرج من منزله حاجًا أو معتمرًا، فكلما رفع قدمًا ووضع قدمًا تناثرت الذنوب من قدميه كما يتناثر الورق من الشجر، فإذا ورد المدينة وصافحنى بالسلام صافحته الملائكة بالسلام، فإذا ورد ذا الحليفة واغتسل طهره الله من الذنوب، وإذا لبس ثوبين جديدين جدد الله له الحسنات، وإذا قال: لبيك اللهم لبيك أجابه الله تعالى بلبيك وسعديك أسمع كلامك وأنظر إليك، وإذا دخل مكة فطاف وسعى بين الصفا والمروة أوصل الله له الخيرات، وإذا وقف بعرفات وضجت له الأصوات بالحاجات، باهى الله تعالى بهم ملائكة سبع سموات فيقول: ملائكتى وسكان سمواتى، أما ترون إلى عبادى أتونى من كل فج عميق شعثًا غبرًا، قد أنفقوا الأموال وأتعبوا الأبدان، فوعزتى وجلالى وكرمى لأهبن مسيئهم لمحسنهم، ولأخرجنهم من الذنوب كيوم ولدتهم أمهاتهم؟ فإذا رموا الجمار وحلقوا الرؤوس وزاروا البيت، نادى مناد من بطنان العرش: ارجعوا مغفوراً لكم واستأنفوا واستقبلوا العمل».

وروى أن رسول الله ﷺ أتاه أعرابى وقال له: يا رسول الله خرجت أريد الحج ففاتنى، وأنا رجل متزر - يعنى محرمًا - فمرنى بما أصنع فأبلغ به الحج أو مثل أجر الحج، قال: فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال له: انظر إلى أبى قبيس، فنظر إلى أبى قبيس، قال له: فلو أن لك أبا قبيس ذهبًا أحمر وجعلته فى سبيل الله ما بلغت ما بلغ الحاج، ثم قال عليه السلام: إن الحاج إذا أخذ فى جهازه لم يرفع شيئًا ولا يضعه إلا كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات، فإذا ركب بعيره لم يرفع البعير خفًا ولا يضعه إلا كتب الله له مثل ذلك، فإذا طاف بالبيت خرج من ذنوبه، فإذا سعى بين الصفا والمروة خرج من ذنوبه، فإذا وقف بعرفات خرج من ذنوبه، ثم قال: إذا وقف بالمشعر الحرام خرج من ذنوبه، فإذا رمى الجمار خرج من

ذنوبه، ثم قال له: أنى لك أن تبلغ ما بلغ الحاج».

وعن على بن أبى طالب كرّم الله وجهه أنه قال: «كنت طائفًا مع النبى ﷺ بالبيت الحرام، فقلت له: يا رسول الله فداك أبى وأمى، ما هذا البيت؟ فقال: يا على، أسس الله تعالى هذا البيت فى دار الدنيا كفارة لذنوب أمتى، فقلت: فداك أبى وأمى يا رسول الله، ما هذا الحجر الأسود؟ قال ﷺ: تلك جوهرة كانت فى الجنة، فأهبط الله بها إلى دار الدنيا، لها شعاع كشعاع الشمس، فاشتد سوادها وتغير لونها منذ مستها أيدى المشركين».

وعن ابن أبى مليكة عن عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال. سمعت رسول الله ﷺ يقول: ينزل الله على هذا البيت الحرام فى كل ليلة ويوم مائة وعشرون رحمة، ستون منها للطائفين بالبيت الحرام، وأربعون منها للعاكفين حول البيت الحرام، وعشرون منها للناظرين إلى البيت الحرام.

وعن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن سلمة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: إن عبداً صححت له فى جسمه وفسحت له فى عمره وتمضى عليه ثلاثة أعوام لا يغدو إلى هذا البيت إنه لمحروم إنه لمحروم»[1].

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: «حججنا مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أول خلافته، فدخل المسجد حتى وقف عند الحجر، فقال. إنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك، فقال له على رضى الله عنه: لا تقل هذا يا أمير المؤمنين فإنه يضر وينفع بإذن الله، ولو أنك قرأت القرآن وعلمت ما فيه لما أنكرت علىَّ، فقال له عمر رضى الله عنه: يا أبا الحسن وما تأويله فى كتاب الله عز وجل؟ فقال: قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم﴾ [الأعراف ١٧٢] فلما أقروا بالعبودية كتب إقرارهم فى رق، ثم دعا الحجر فألقمه ذلك الرق، فهو أمين الله تعالى على هذا المكان ليشهد لمن وافاه يوم القيامة، فقال عمر رضى الله عنه: يا أبا الحسن لقد جعل الله بين ظهرانيك من العلم غير قليل.

وعن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال «الحجاج

---

(١) الإتحاف ٤/ ٢٧٢.

والعمار وفد الله عز وجل إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم»[1].

وعن مجاهد رحمه الله أن النبي ﷺ قال: «اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج»[2].

وروى عن الحسن رحمه الله أنه قال في الخبر: «إن الملائكة يتلقون الحاج فيسلمون على صاحب الجمال ويصافحون أصحاب البغال والحمير ويعانقون الرجالة».

وروى عن الضحاك رحمه الله عن النبي ﷺ مرسلاً أنه قال: «أيما مسلم خرج من بيته قاصداً في سبيل الله فوقصته الدابة قبل القتال أو لدغته هامة، أو مات بأي حتف مات فهو شهيد، وأيما مسلم خرج من بيته إلى بيت الله الحرام، ثم نزل به الموت قبل بلوغه إلاّ أوجب الله له الجنة».

وعن سفيان بن عيينة رحمه الله عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «من حج هذا البيت ثم عاد فلم يرفث ولم يفسق ولم يجهل عاد كما ولدته أمه»[3].

وروى عن سعيد بن المسيب رحمه الله عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليدخل ثلاثة نفر بالحجة الواحدة الجنة: الموصى بها، والمنفذ لها، والحاج عنه، والعمرة والجهاد كذلك».

وعن علي بن عبد العزيز رحمه الله قال: كنت عديلاً لأبي عبيد القاسم بن سلام سنة من السنين، فلما صرت إلى الموقف قصرت إلى ركن جبل الحل، فتطهرت ونسيت نفقتي عنده، فلما صرت إلى المأزمين قال لي أبو عبيد: لو اشتريت لنا زبداً وتمراً، فخرجت لأبتاعه فتذكرت النفقة، ورجعت عوداً على بدء إلى أن وافيت الموضع، فإذا النفقة بحالها، فأخذتها ورجعت وكنت قد صادفت الوادي مملوءاً قردة وخنازير وغير ذلك فجزعت منهم، ثم إني رجعت فإذا هم على حالهم حتى دخلت على أبي عبيد قبيل الصبح، فسألني عن أمري فأخبرته وذكرت القردة والخنازير، فقال: تلك ذنوب بني آدم تركوها وانصرفوا.

---

(١) الصحيحة (١٨٢٠)، وابن ماجه (٢٨٩٢)، والبيهقي ٥/ ٢٦٢

(٢) البيهقي ٥/ ٢٦١، والحاكم ١/ ٤٤١.

(٣) النسائي ٥/ ١١٤، وابن ماجه (٢٨٨٩)، وأحمد ٢/ ٤١٠.

(فصل) واختلفوا فى تسمية يوم التروية:

والتروية: اسم اليوم الثامن من شهر ذى الحجة وهو اليوم الذى يخرج الناس فيه من مكة إلى منى، فسمى يوم التروية لأن الناس يروون من ماء زمزم.

والتروية: تفعلة من قولهم ارتوى يرتوى: إذا استقى الماء وسقى وشرب واغتسل، والناس يسقون من ماء زمزم فى ذلك اليوم مستكثرين.

وقيل: سميت التروية لأن إبراهيم عليه السلام رأى فى المنام فى ليلتها أنه يذبح ولده، فلما أصبح تروى وتفكر أنه من العدو الشيطان، أم من الحبيب الرحمن؟ فبقى ذلك اليوم متفكراً، ذا روية فيما رآه، فلما كان يوم عرفة قيل له. افعل ما تؤمر به، فعرف أنه من الحبيب، فلهذا سمى يوم عرفة.

قوله عز وجل: **﴿وأذن فى الناس بالحج﴾** [الحج.٢٧] أمر خليله بدعوة عباده إلى بيته.

فالدعوات أربعة:

دعوة الله لعباده، قال الله عز وجل: **﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾** [يونس ٢٥] دعاهم من دار التكليف إلى دار التشريف، من دار الغيبة إلى دار المشاهدة، ومن دار الزوال إلى دار النوال، ومن دار البلوى إلى دار المولى، دعاهم من دار أولها بكاء ووسطها عناء وآخرها فناء إلى دار أولها عطاء ووسطها رضاء وآخرها لقاء.

والثانية: دعوة النبى ﷺ دعا أمته إلى دين الإسلام، قوله عز وجل: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾** [النحل.١٢٥] الدعوة إليه ﷺ والهداية ليست إليه كما قال عليه الصلاة والسلام: «بعثت هاديًا وليس إلىَّ من الهداية شىء، وبعث إبليس غاويًا، وليس إليه من الضلالة شىء».

قال الله عز وجل: **﴿إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء﴾** [القصص.٥٦].

سأل النبى ﷺ هداية عمه أبى طالب، فأبى أن يهديه، وهَدَى وحشيًا قاتل حمزة رضى الله عنهما، كأنه عز وجل يقول لنبيه عليه السلام: يا محمد عليك الدعوة كما قال عز وجل: **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك﴾** [المائدة ٦٧]، وقال تعالى: **﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيراً﴾** [الأحزاب ٤٥ ـ ٤٦]،

ولك الشفاعة، وأما الإجابة والهداية فإلىَّ، قال الله عز وجل: ﴿يهدى الله لنوره من يشاء﴾ [النور. ٣٥]، قوله تعالى: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ [السجدة. ١٣].

والثالثة: المؤذن يدعو إلى الصلاة لله وأداء أمر الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله﴾ [فصلت. ٣٣].

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن المؤذنين والملبين يوم القيامة يخرجون من قبورهم يؤذن ويلبى الملبى، ويستغفر للمؤذن مدى صوته، ويشهد له كل رطب ويابس من شجر ومدر سمع صوته، ويكتب للمؤذن بكل إنسان صلى فى ذلك المسجد مثل حسناته، ويعطيه الله تعالى ما بين الأذان والإقامة كل شىء سأله، إما أن يعجله فى الدنيا أو يصرف عنه سوءاً، أو يدخر له فى الآخرة»(١).

وروى أن النبى ﷺ جاءه رجل فقال: «يا رسول الله أخبرنى بعمل واحد أدخل به الجنة، فقال: تكون مؤذن قومك، يجمعون بك صلاتهم، قال: يا رسول الله، فإن لم أطق؟ قال: تكون إمام قومك يقيمون بك صلاتهم، قال: فإن لم أطق؟ فعليك بالصف الأول».

وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: «نزلت هذه الآية فى المؤذنين ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا﴾ [فصلت ٣٣] يعنى دعا الخلق إلى الصلاة، وصلى بين الأذان والإقامة».

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «يغفر للمؤذن مدى صوته، وله مثل أجر من صلى معه من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا»(٢).

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه عن خولة بنت حكيم رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ. «المريض ضيف الله ما دام فى مرضه، يرفع له كل يوم عمل سبعين شهيداً، فإن عافاه الله من مرضه فيخرج من ذنوبه كيوم وصعته أمه، وإن قضى عليه بالموت أدخله الجنة بغير حساب».

وقال بعضهم: المؤذن حاجب الله تعالى يعطى بكل أذان ثواب ألف نبى، والإمام وزير الله يعطى بكل صلاة ثواب ألف صدّيق، والعالم وكيل الله تعالى يعطى بكل

---

(١) الكنز (٢٠٨٨١)، وتنزيه الشريعة ٢/ ٧٧، ومجمع الزوائد ١/ ٣٢٧

(٢) بنحوه. أحمد ٢/ ١٣٦، والكنز (٢٠٩٢٦).

حديث نورًا يوم القيامة، ويكتب له عبادة ألف سنة، والمتعلمون من الرجال والنساء هم خدم الله فما جزاؤهم إلا الجنة».

وقال النبى ﷺ: «أطول الناس أعناقًا يوم القيامة المؤذنون»[1].

وقال النبى ﷺ: «من أذن سبع سنين أعتقه الله من النار بعد أن يحسن نيته»[2].

وقال النبى ﷺ: «يغفر الله تعالى للمؤذن مدى صوته، ويصدقه كل ما سمعه من رطب ويابس»[3].

وأما الدعوة الرابعة: فدعوة إبراهيم الخليل عليه السلام، قوله عز وجل: ﴿وأذن فى الناس بالحج﴾ [الحج ٢٧]، وقد ذكرناها فى أول المجلس.

* * *

(١) مسلم فى: الصلاة (١٤)، وابن ماجه (٧٢٥)، والبيهقى ١/ ٤٣٣.

(٢) بنحوه: العلل المتناهية ١/ ٣٩٧، والطبرانى ١١/ ٧٨.

(٣) الدر المنثور ٥/ ٣٦٤، والنسائى ٢/ ١٣، والبيهقى ١/ ٣٩٧

مجلس
فى فضائل يوم عرفة

قال الله عز وجل: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾ [المائدة ٣].

هذه الآية نزلت بعرفات دون سائر آيات هذه السورة، لأنها نزلت بالمدينة وهى سورة المائدة.

وقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ يعنى شرائع دينكم من الحلال والحرام ﴿وأتممت عليكم نعمتى﴾ أى منتى عليكم: أى لا يجتمع معكم بعرفات كافر ولا مشرك ﴿ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾ يعنى اخترت لكم دين الإسلام.

نزلت هذه الآية يوم عرفة بعرفات فى حجة الوداع، ثم مكث رسول الله ﷺ بعد نزولها إحدى وثمانين يومًا، ثم قبضه الله تعالى إلى رحمته ورضوانه، مروى ذلك عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، عنه وغيره من المفسرين.

وقال محمد بن كعب القرظى رحمه الله: نزلت هذه الآية يوم فتح مكة.

وقال جعفر الصادق رحمه الله ﴿اليوم﴾ إشارة إلى بعث النبى ﷺ، ويوم رسالته.

وقيل: اليوم إشارة إلى يوم الأزل، والإتمام: إشارة إلى الوقت، والرضا: إشارة إلى الأبد.

وقيل: كمال الدين فى شيئين: فى معرفة الله تعالى، واتباع سنة رسول الله ﷺ.

وقيل: كما الدين فى الأمن والفراغ، لأنك إذا كنت آمنًا بما تكفل الله تعالى لك صرت فارغًا لعبادته.

وقيل: إن كمال الدين فى التبرى من الحول والقوة، والرجوع من الكل إلى من له الكل.

وقيل: إن كمال الدين حيث رد الحج إلى يوم عرفة، لأنهم كانوا يحجون كل سنة، فى كل شهر، فلما رد الله وقت الحج إلى الميقات وجعله فريضة، أنزل ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾.

والدين على وجوه عدة فى القرآن:

ـ منها بمعنى الدنيا، وهو قوله عز وجل: ﴿ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك﴾ [يوسف:٧٦] يعنى فى دنياه وعادته وسيرته.

ـ ومنها الحساب، قوله عز وجل: ﴿ذلك الدين القيم﴾ [التوبة:٣٦، ويوسف: ٤، والروم: ٣٠] يعنى الحساب المستقيم.

ـ ومنها الجزاء، قوله عز وجل: ﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ [النور:٢٥] أى الجزاء الأعدل.

ـ ومنها بمعنى الحكم، قوله عز وجل: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله﴾ [النور ٢] يعنى فى حكم الله.

ـ ومنها بمعنى العيد، قوله تعالى: ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا﴾ [الأنعام ٧] يعنى عيدهم.

ـ ومنها الصلاة والزكاة، وقوله تعالى: ﴿وذلك دين القيمة﴾ [البينة:٥].

ـ ومنها القيامة، قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة ٤].

ـ ومنها الشريعة، قوله عز وجل: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة ٣] يعنى شرائع دينكم.

(فصل) قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة:٣].

وذلك أن الله تعالى أنزل الكتب جملة واحدة لكم وأنزل الفرقان متفرقًا.

فقيل: أيهما أحسن نزولاً؟

قيل: القرآن أحسن لأن الله تعالى لما أنزل التوراة جملة واحدة فقبلها بنو إسرائيل، فعملوا بها قليلاً، فثقلت عليهم تلك الأوامر والنواهى التى فى التوراة فـ ﴿قالوا سمعنا وعصينا﴾ [البقرة:٩٣].

وأما القرآن فأنزله الله شيئًا بعد شيء على التدريج متفرقًا، فأول ما أمر الله المؤمنين بقوله: لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله، وضمن لهم إذا قالوها الجنة، فسمعوا وأطاعوا، ثم أمرهم بإقامة صلاتين ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين بعد غروبها، ثم أمرهم بالصلوات الخمس، ثم أمرهم بالجمعة مع الجماعة بعد الهجرة، ثم أمرهم بالزكاة، ثم أمرهم بصوم عاشوراء، ثم أمرهم بصوم ثلاثة أيام من كل شهر، ثم أمرهم بصوم شهر

رمضان، ثم أمرهم بالجهاد، ثم أمرهم بالحج، ثم لما تمت الأوامر والنواهي أنزل الله على رسوله في حجة الوداع: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ وكان ذلك يوم الجمعة، ويوم عرفة، كذلك نقل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال طارق بن شهاب رحمه الله: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له: آية تقرؤنها لو كانت نزلت علينا وعلمنا ذلك اليوم لاتخذناه عيداً، فقال له عمر رضي الله عنه: أي آية؟ فقال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾، فقال عمر رضي الله عنه: قد علمت في أي يوم نزلت وفي أي مكان نزلت، إنها نزلت يوم عرفة ويوم الجمعة، ونحن مع رسول الله ﷺ وقوف بعرفات، وكلاهما بحمد الله تعالى لنا عيد، ولا يزال هذا اليوم عيداً للمسلمين ما بقي واحد.

وقال رجل من اليهود لابن عباس رضي الله عنهما: لو كان هذا اليوم فينا لاتخذناه عيداً، قال له ابن عباس رضي الله عنهما: وأي عيد أكمل من يوم عرفة.

(فصل) واختلف العلماء في المعنى الذي لأجله قيل للموقف عرفات، وليوم الوقوف بها عرفة.

فقال الضحاك: إن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض وقع بالهند وحواء بجدة، فجعل آدم يطلب حواء وهي تطلبه، فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعرفا، فسمي هذا اليوم عرفة، والموضع عرفات.

وقال السدي: إنما سميت عرفات، لأن هاجر حملت إسماعيل عليه السلام فأخرجته من عند سارة، وكان إبراهيم عليه السلام غائباً، فلما قدم لم ير إسماعيل عليه السلام وحدثته سارة بالذي صنعت هاجر، فانطلق في طلب إسماعيل فوجده مع هاجر بعرفات فعرفه، فسميت عرفات.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن إبراهيم عليه السلام غدا من فلسطين، فحلفته سارة أن لا ينزل عن ظهر دابته حتى يرجع إليها من الغيرة، فأتى إسماعيل ثم رجع، فحبسته سارة سنة ثم استأذنها فأذنت له، فخرج حتى بلغ مكة وجبالها، فكان ليلة يسير ويسعى حتى أذن الله عز وجل له في ثلث الليل الأخير عند سند جبل عرفة، فلما أصبح عرف البلاد والطريق، فجعل الله عز وجل عرفة حيث عرف. فقال: اللهم اجعل بيتك أحب بلادك إليك حيث تهوى إليه قلوب المسلمين من كل فج عميق».

وقال عطاء رحمه الله: إنما سميت عرفات لأن جبريل عليه السلام كان يرى إبراهيم عليه السلام المناسك، فيقول عرفت، ثم يريه فيقول عرفت فسميت عرفات.

وروى سعيد بن المسيب عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: «بعث الله عز وجل جبريل إلى إبراهيم عليهما السلام فحج به، حتى إذا أتى عرفات قال: قد عرفت، وكان قد أتاها مرة من قبل ذلك، فسميت عرفات».

وروى أبو الطفيل رحمه الله عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «إنما سميت عرفة لأن جبريل عليه السلام أتى إبراهيم عليه السلام فأراه بقاع مكة ومشاهدها، فكان يقول: يا إبراهيم هذا موضع كذا وهذا موضع كذا، فيقول قد عرفت قد عرفت».

وروى أسباط عن السدى رحمهما الله قال: لما أذَّنَ إبراهيم عليه السلام فى الناس بالحج أجابوه بالتلبية، وأتاه من أتاه، فأمره الله عز وجل أن يخرج إلى عرفات ونعتها له، فخرج، فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان على الجمرة الثالثة التى هى جمرة العقبة، فرماه بسبع حصيات وكبر مع كل حصاة، فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبّر، فطار فوقع على الجمرة الأولى، فرماه وكبّر، فلما رأى أنه لا يطيقه ذهب، فانطلق إبراهيم حتى أتى ذا المجاز، فلما نظر إليه لم يعرفه فجاز، فلذلك سمى ذا المجاز، ثم انطلق حتى وقف بعرفات، فلما نظر إليها بالنعت عرفها، فقال: عرفت، فسميت عرفات بذلك، وسمى ذلك اليوم يوم عرفة، حتى إذا أمسى اردلف إلى جمع فسميت مزدلفة.

وإنما سمى جمعًا لأنه يجمع فيه بين الصلاتين بين المغرب والعشاء، وإنما سمى المشعر الحرام لأن الله أشعر الناس وأعلمهم بأنه حرم كسائر بقاع الحرم كيلا يأتوا فيه بمحرم.

وعن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إنما سميت تروية وعرفة، لأن إبراهيم عليه السلام رأى ليلة التروية فى منامه أنه يؤمر بذبح ابنه، فلما أصبح روى يومه أجمع: أى فكر، أمن الله هذا الحلم، أم من الشيطان؟ فسمى اليوم من فكرته تروية، ثم رأى ليلة عرفة ذلك ثانيًا، فلما أصبح عرف أن ذلك من الله سبحانه وتعالى، فسمى ذلك اليوم يوم عرفة.

وقال بعضهم: سميت بذلك لأن الناس يعترفون فى هذا اليوم على الموقف بذنوبهم.

والأصل فيه أن آدم عليه السلام لما أمر بالحج فوقف بعرفات يوم عرفة، فقال: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ [الأعراف:٢٣].

وقيل: هي مأخوذة من العرف وهو الطيب، قال الله عز وجل: ﴿عرفها لهم﴾ [محمد ٦] أي طيبها

وقيل: هي ضد منىً، لأن منى موضع يمنى فيه الدم: أي يصب، ولذلك سميت منى. ففيه تكون الفروث والدماء، فهي ليست بطيبة، وعرفات ليست فيها تلك الأقذار فهي طيبة، فلذلك سميت عرفات، ويوم الوقوف بها يوم عرفة.

وقيل: لأن الناس يتعارفون بها.

وقيل: أصل هذين الاسمين من الصبر، يقال: رجل عارف: إذا كان صابراً خاضعاً خاشعاً.

ويقال في المثل: «النفس عروف وما حملتها تتحمل».

وقال ذو الرمة:

«عروف لما حطت عليه المقادير»

أي صبور على قضاء الله، فسمي بهذا الاسم لخضوع الحاج وتذللهم وصبرهم على الدعاء وأنواع البلاء، واحتمال الشدائد والمشاق لإقامة هذه العبادة.

(فصل: في شرف يوم عرفة وليلته)

أخبرنا هبة الله بن المبارك، قال: أنبأنا أبو علي الحسن بن أحمد، أنبأنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل، أنبأنا أبو علي بن الصواف، أنبأنا عبد الله بن محمد بن ناجية، أنبأنا عمر بن حفص أبو عمرو، أنبأنا محمد بن مروان، أنبأنا هشام الدستوائي، عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم أفضل من يوم عرفة، يباهي الله تعالى فيه بأهل الأرض أهل السماء، يقول: انظروا إلى عبادي شعثًا غبراً جاءوني من كل فج عميق، يرجون رحمتي ويخافون عذابي، فلم ير يوم أكثر عتقًا من النار من يوم عرفة»[1].

وأخبرنا هبة الله عن أبي محمد الحسن بن محمد بن أحمد الفارسي بإسناده عن

(١) مجمع الزوائد ٣/ ٢٥٣، والترغيب ٢/ ٢٠٠، والدر المنثور ١/ ٢٢٧.

الحسن العربى، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: خطب النبى ﷺ يوم عرفة فقال: «أيها الناس إنه ليس البر فى إيجاف الإبل ولا فى إيضاع الخيل، ولكن سيرًا جميلاً، تواصلوا ضعيفًا، ولا تؤذوا مسلمًا»(١).

عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى ينظر إلى عباده يوم عرفة، فلا يدع أحدًا فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلاَّ غفر له» فقلت لابن عمر: للناس جميعًا أم لأهل عرفة؟ فقال: بل للناس جميعًا.

وأخبرنا هبة الله، قال: أنبأنا مكابر بن الجحش المازنى بالبصرة، بإسناده عن أبى الزبير عن جابر رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم عرفة ينزل الله تعالى إلى سماء الدنيا، فيباهى بالحاج الملائكة، فيقول لهم عز وجل: يا ملائكتى انظروا إلى عبادى جاءونى شعثًا غبرًا يرجون رحمتى ويخافون عذابى، فحق على المزور أن يكرم زائره، وحق على المضيف أن يكرم ضيفه، اشهدوا أنى قد غفرت لهم وجعلت قراهم دخول الجنة، قال: فتقول الملائكة: يا رب إن فيهم فلانًا يزهو، وفلانة تزهو، فيقول الله عز وجل: قد غفرت لهم، فما من يوم أكثر عتقًا من النار من يوم عرفة»(٢).

وأخبرنا هبة الله بإسناده عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ما رأى إبليس يومًا هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحض ولا أغيظ من يوم عرفة، وذلك لما يرى من تنزيل الرحمة والعفو عن الذنوب إلاَّ ما رأى يوم بدر، قالوا: يا رسول الله وما رأى يوم بدر؟ قال: أما إنه رأى جبريل يدعو الملائكة».

وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان يقول. إن يوم الحج الأكبر يوم عرفة، وهو يوم المباهاة، ينزل الله تعالى إلى سماء الدنيا فيقول لملائكته: انظروا إلى عبادى فى أرضى صدقونى، فليس من يوم أكثر عتيقًا من النار من يوم عرفة.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اليوم الموعود يوم القيامة، والشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة»(٣).

وعن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى

---

(١) أحمد ١/ ٢٧٧، والكنز (١٢٦٢١)

(٢) الموضوعات ٢/ ٢١٥، واللآلىء المصنوعة ٢/ ٦٩، وابن عساكر ٤/ ٢٣٣

(٣) الصحيحة (١٥٠٢)، والترمذى (٣٣٣٩)، والطبرانى ٣/ ٣٣٨

باهى بالناس يوم عرفة عامة، وباهى بعمر بن الخطاب خاصة»[1].

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إن أعظم الناس جرمًا من انصرف من عرفات ويرى أن الله عز وجل لم يغفر له».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: «إن الله تعالى يرحم عشية يوم عرفة لأهل الجمع جميعًا إلاَّ أهل الكبائر، فإذا كان غداة المزدلفة غفر لأهل الكبائر والتبعات».

أخبرنا هبة الله بن المبارك، قال: أخبرنا أبو الفتح محمد بن أحمد الطبرى يعرف بالباهر، قال: أخبرنا على بن أحمد بن الرفاء السامرى، أنبأنا إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمى، أنبأنا أبو مصعب عن مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: «وقف بنا رسول الله ﷺ عشية عرفة، فلما قام عند الدفعة استنصت الناس فأنصتوا، فقال: يا أيها الناس إن ربكم عز وجل قد تطول عليكم فى يومكم هذا، فوهب مسيئكم لمحسنكم، وأعطى محسنكم ما سأله، وغفر ذنوبكم إلاَّ التبعات، ادفعوا بسم الله، فلما صرنا بالمزدلفة وقف بنا رسول الله ﷺ سحرًا، فلما كان عند الدفعة استوقف الناس فوقفوا واستنصتهم فأنصتوا، ثم قال: يا أيها الناس إن ربكم قد تطول عليكم فى يومكم هذا، فوهب مسيئكم لمحسنكم، وأعطى محسنكم ما سأله، وغفر ذنوبكم وغفر التبعات وضمن لأهلها الثواب، ادفعوا بسم الله، فقام أعرابى وأخذ بزمام الناقة، فقال: يا رسول الله، والذى بعثك بالحق ما بقى من عمل إلاَّ وقد عملته، وإنى لأحلف على اليمين الفاجرة، فهل دخلت فيمن وصفت؟ فقال: يا أعرابى إنك إن تحسن فيما تستأنف يغفر لك ما مضى خل زمام الناقة».

وأخبرنا هبة الله عن أبى على الحسن بن الحباب المقرى، بإسناده عن عباس بن مرداس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة والرحمة، فأجابه الله تعالى: إنى قد فعلت إلاَّ ظلم بعضهم بعضًا، فأما ذنوبهم فيما بينى وبينهم فقد غفرتها، فقال: أى رب إنك قادر أن تثيب هذا المظلوم خيرًا من مظلمته وتغفر لهذا الظالم، قال: فلم يجبه تلك العشية، فلما كان غداة مزدلفة أعاد الحديث، فأجابه: إنى قد غفرت لهم، قال: ثم تبسم رسول الله ﷺ، فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله تبسمت فى ساعة لم تكن تتبسم فيها؟ فقال: تبسمت من عدو الله إبليس لأنه لما علم

(١) الكنز (٣٥٨٥٨)، وابن عساكر ٤/٢٨٧.

أن الله قد استجاب لى فى أمتى أهوى يدعو بالويل والثبور، ويحثو التراب على رأسه».

وعن سعيد بن جبير رحمه الله قال: «بينما رسول الله ﷺ يوم عرفة بعرفات فى الموضع الذى ترفع العباد فيه أيديهم إلى الله تعالى ويعجون بالدعاء، إذ هبط عليه جبريل عليه السلام، وقال: يا محمد إن العلى الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول لك: هؤلاء حجاج بيتى وزوارى، وحق على المزور أن يكرم الزائر، أشهدك وأشهد ملائكتى أنى قد غفرت لهم جميعًا وهكذا أفعل بزوار يوم الجمعة».

وعن على رضى الله عنه أنه لما كان عشية يوم عرفة ورسول الله ﷺ واقف، أقبل على الناس بوجهه فقال: مرحبًا بوفد الله ثلاث مرات، الذين إذا سألوا أُعطوا، وتخلف عليهم نفقاتهم فى الدنيا، وتجعل لهم عند الله فى الآخرة مكان كل درهم ألف، ألا أبشركم ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنه إذا كان فى هذه العشية ينزل الله إلى سماء الدنيا، ثم يأمر ملائكته فيهبطون إلى الأرض، فلو طرحت إبرة لم تسقط إلا على رأس ملك، فيقول الله عز وجل: يا ملائكتى انظروا إلى عبادى جاؤونى شعثًا غبرًا من أطراف الأرض، هل تسمعون ما يسألون؟ قالوا: يسألونك أى رب المغفرة، قال سبحانه وتعالى: أشهدكم أنى قد غفرت لهم ثلاث مرات، فأفيضوا من موقفكم مغفورًا لكم».

(فصل)

فى تفضيل صيامه وما ورد فيه من الصلوات، وما أمر به من صنوف الدعوات

أخبرنا هبة الله بن المبارك، قال: أنبأنا أحمد بن محمد، بإسناده عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه، قال: إن رسول الله ﷺ قال: «من صام يوم عرفة غفر الله له ما تقدم من ذنبه لسنة»[1].

وأخبرنا هبة الله بإسناده عن أبى قتادة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال. «صيام يوم عرفة كفارة سنتين، سنة ماضية وسنة مستقبلة»[2].

وأما الصلاة فمما أخبرنا به هبة الله بن المبارك قال: أنبأنا الشيخ أبو على الحسن بن أحمد عبد الله المقرى، قال: أنبأنا أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار، قال:

(١) بنحوه: أحمد ٥/٢٩٦.

(٢) بنحوه: البيهقى (١٧٣١)، والمجمع ٣/١٨٩.

أنبأنا أبو الحسن على بن أحمد الحلوانى، أنبأنا موسى بن عمران البلخى، أنبأنا يوسف ابن موسى القطان، أنبأنا عمر بن نافع، أنبأنا مسعود بن واصل، أنبأنا النهاس بن فهم، عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى يوم عرفة بين الظهر والعصر أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و ﴿قل هو الله أحد...﴾ خمسين مرة، كتب له ألف ألف حسنة، ورفع له بكل حرف فى القرآن درجة فى الجنة ما بين كل درجتين مسيرة خمسمائة عام، ويزوجه الله بكل حرف فى القرآن سبعين حوراء، مع كل حوراء سبعون ألف مائدة من الدر والياقوت، على كل مائدة سبعون ألف لون ما بين لحم طير خضر، برده برد الثلج، وحلاوته حلاوة العسل، وريحه ريح المسك، لم تمسه نار ولا حديدة، يجد لآخره طعمًا كما يجد لأوله، ثم يأتيهم طائر جناحاه من ياقوتتين حمراوين ومنقاره من ذهب، له سبعون ألف جناح، فينادى بصوت لذيذ لم يسمع السامعون بمثله: مرحبًا بأهل عرفة.

وقال: يسقط ذلك الطير فى صفحة الرجل منهم، فيخرج من تحت كل جناح من أجنحته سبعون لونًا من الطعام فيأكل منها، ثم ينتفض فيطير، فإذا وضع فى قبره أضاء له بكل حرف فى القرآن نور حتى يرى الطائفين حول البيت، ويفتح له باب من أبواب الجنة، ثم يقول عند ذلك: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة، مما يرى من الثواب والكرامة»[1].

وأخبرنا هبة الله بن المبارك، قال: أنبأنا الحسن بإسناده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وعبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قالا: قال رسول الله ﷺ: «من صلى يوم عرفة ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب ثلاث مرات، فى كل مرة يبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم ويختمها بآمين، ثم يقرأ ﴿قل يا أيها الكافرون...﴾ ثلاث مرات، و ﴿قل هو الله أحد...﴾ مائة مرة، يبدأ فى كل مرة ببسم الله الرحمن الرحيم، إلاَّ قال الله تعالى: اشهدوا أنى قد غفرت له ذنوبه»[2].

وأما الدعوات، فما أخبرنا هبة الله بن المبارك عن القاضى الشريف أبى الحسن محمد ابن على المهتدى بالله، عن أبى الفتح يوسف بن عمر بن مسرور القواس، قال: أنبأنا

(١) الموضوعات ٢/ ١٢٢، وتنزيه الشريعة ٢/ ٨٩.

(٢) الموضوعات ٢/ ١٣٣، والإتحاف ٥/ ٢٠٧، وتنزيه الشريعة ٢/ ٩٥.

عبد الله بن أحمد بن ثابت البزاز، أنبأنا أيوب، يعني: أبو الوليد الضرير، أنبأنا أبو النصر، يعني هاشم بن القاسم، عن محمد بن الفضل بن عطية، عن أبيه، عن عبد الله ابن عمر الليثي، عن أبيه رضي الله عنه قال: بلغنا أن الله تعالى أهدى إلى عيسى عليه السلام خمس دعوات جاء بهن جبريل عليه السلام في أيام العشر وقال: يا عيسى ادع بهؤلاء الخمس دعوات، فإنه ليس عبادة أحب إلى الله تعالى من عبادة أيام العشر.

أولهن: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

والثانية: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهًا واحدًا صمدًا، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا.

والثالثة: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

والرابعة: حسبي الله وكفى، سمع الله لمن دعا، ليس وراء الله منتهى.

والخامسة: اللهم لك الحمد كما تقول، وخيرًا مما تقول، اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي، ولك يا رب تراثي: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن شتات الأمر، اللهم إني أسألك من خير ما تجري به الريح.

فسأل الحواريون عيسى ابن مريم عليه السلام: ما ثواب من قال هذه الكلمات؟.

فقال: أما من قال الأولى مائة مرة، فإنه لا يكون لأحد من أهل الأرض عمل مثل ذلك العمل في ذلك اليوم، وكان أكثر العباد حسنات يوم القيامة.

ومن قال الثانية مائة مرة، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه مثلها سيئات، ورفع له عشرة آلاف درجة في الجنة.

ومن قال الثالثة مائة مرة، نزل سبعون ألف ملك من سماء الدنيا رافعي أيديهم يصلون على من قالها.

ومن قال الرابعة مائة مرة، تلقاها ملك حتى يضعها بين يدي الرحمن عز وجل، فينظر إلى من قالها، ومن نظر الله تعالى إليه لم يشق.

وقالوا: يا عيسى، فما ثواب من قال الخامسة؟ قال: هي دعوتي ولم يؤذن لي في تفسيرها.

وأخبرنا هبة الله بن المبارك، عن الحسن بن أحمد بن عبد الله المقرى، بإسناده عن خليفة بن الحسين، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: «أكثر ما يدعو به النبى ﷺ عشية عرفة يقول: اللهم لك الحمد كما تقول وخيراً مما تقول، اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى، ولك يا رب تراثى، اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر وفتنة الصدر وشتاب الأمر، اللهم إنى أسألك من خير ما تجرى به الريح»(١).

وأخبرنا هبة الله بن المبارك بإسناده عن موسى بن عبيدة، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثر دعائى ودعاء الأنبياء قبلى بعرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، اللهم اجعل فى قلبى نوراً، وفى سمعى نوراً، وفى بصرى نوراً، اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى، اللهم إنى أعوذ بك من وساوس الصدر وفتنة القبر وشتات الأمر، اللهم إنى أعوذ بك من شر ما يلج فى الليل، ومن شر ما يلج فى النهار ومن شر ما تهب به الرياح، ومن شر بوائق الدهر»(٢).

وروى الضحاك رحمه الله عن النبى ﷺ أنه قال فى حجة الوداع حين اجتمعوا بعرفة: «هذا يوم الحج الأكبر، ولا حج لمن لم يواف عرفة اليوم والليلة، فاليوم دعاء وسؤال الرب عز وجل، وهو يوم تهليل وتكبير وتلبية، إنه من وافى اليوم هذا المكان وحرم سؤال ربه عز وجل فهو المحروم، وإنكم تدعون جواداً لا يبخل، وحليماً لا يجهل، وعالماً لا ينسى، إنه من صام يوم عرفة مقيماً فى أهله فقد صام عاماً أمامه وعاماً خلفه»(٣).

(فصل) وأما ما اختص به رسول الله ﷺ من الدعاء فى عشية عرفة، فهو ما أخبرنا به هبة الله بن المبارك، قال: أنبأنا القاضى أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن العكبرى بها، قال: حدثنا على بن محمد بن عبد الله المعدل، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم، حدثنا أحمد بن محمد بن أبى شيبة، حدثنا على بن مسلم، أنبأنا ابن أبى فديك، قال: حدثنى إبراهيم بن فضيل المخزومى، عن سليمان بن

---

(١) الكنز (٣٦٣٧)

(٢) البيهقى ٥/١١٧، والدر المنثور ١/٢٢٨.

(٣) البخارى ٢/٢١٧، وأبو داود فى المناسك: باب (٦٧)، وابن ماجه (٣٠٥٨).

زيد، عن هرم بن حيان، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس في الموقف بعرفة قول ولا عمل أفضل من هذا الدعاء، وأول من ينظر الله إليه صاحبه، وهو أنه ﷺ كان إذا وقف بعرفة استقبل البيت الحرام بوجهه، وبسط يديه كهيئة الداعي، ثم يلبي ثلاثًا ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، يقولها مائة مرة، ثم يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، يقول ذلك مائة مرة، ثم يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويقول: إن الله هو السميع العليم، يقولها ثلاث مرات، ثم يقرأ فاتحة الكتاب ثلاث مرات، ويبدأ في كل مرة ببسم الله الرحمن الرحيم، ويختمها بآمين، ويقرأ ﴿قل هو الله أحد...﴾ مائة مرة، ثم يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، صل على النبي الأمي ورحمة الله وبركاته مائة مرة، ثم يدعو الله عز وجل بما شاء، فيقول الله تعالى: انظروا إلى عبدي توجه بيتي وكبّرني ولبّاني وسبّحني وحمدني وهلّلني، وقرأ بأحب السور إلي وصلى على رسولي أشهدكم أني قد قبلت عمله، وأوجبت له أجره، وغفرت له ذنوبه، وشفعته فيما سألني»[1].

(فصل)

في دعاء جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر وإلياس عليهم السلام عشية عرفة

أخبرنا هبة الله بن المبارك، قال: أنبأنا الحسن بن أحمد بن عبد الله المقرئ، قال: أخبرنا الحسين بن عمر المؤدب، قال: حدثنا أبو القاسم الفامي، قال: حدثنا أبو علي الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن عمار، أنبأنا محمد بن مهدي، قال: حدثني ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال. قال رسول الله ﷺ: «يجتمع البري والبحري، يعني إلياس والخضر عليهما السلام كل عام بمكة».

قال ابن عباس رضي الله عنهما: وبلغنا أنه يحلق أحدهما رأس صاحبه، فيقول أحدهما للآخر: قل بسم الله ما شاء الله، لا يأتي بالخير إلا الله، بسم الله ما شاء الله، لا يصرف السوء غير الله، بسم الله ما شاء الله، وما بكم من نعمة فمن الله، بسم الله ما شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) الموضوعات ٢/ ٢١٢، والإتحاف ٤/ ٣٧٦.

قال ابن عباس رضى الله عنهما: قال النبى ﷺ: «من قالها كل يوم أمن من الغرق والحرق والسرق، ومن كل شيء يكرهه حتى يمسى، ومن قالها حين يمسى كان فى حرز الله حتى يصبح».

وأخبرنا هبة الله بن المبارك، قال: أنبأنا الحسن بن أحمد، أنبأنا عبيد الله بن أحمد الأزهرى، قال: أنبأنا أبو طالب بن حمدان السكرى، قال: أنبأنا إسماعيل، قال: حدثنا عباس الدورى، قال: أنبأنا عبيد الله بن إسحاق العطار، قال: أنبأنا محمد بن المبشر القيسى، عن عبد الله الحسن، عن أبيه عن جده، عن على رضى الله عنه قال: يجتمع فى كل يوم عرفة بعرفات جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر عليهم السلام، فيقول جبريل: ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، فيرد عليه ميكائيل فيقول، ما شاء الله، كل العزة من الله، فيرد عليه إسرافيل فيقول، ما شاء الله الخير كله بيد الله، فيرد عليه الخضر، فيقول، ما شاء الله لا يدفع السوء إلا الله، ثم يتفرقون، ولا يجتمعون إلى قابل فى ذلك اليوم»[1] والله أعلم.

(فصل) قال ابن جريج: بلغنى أنه كان يؤمر أن يكون أكثر دعاء المسلم فى الموقف ﴿ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ [البقرة: ٢٠١].

وروى مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: عند الركن اليمانى ملك قائم منذ خلق الله تعالى السموات والأرض يقول آمين، فقولوا: ﴿ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾.

عن حماد بن ثابت قال: إنهم قالوا لأنس بن مالك رضى الله عنه، ادع لنا، فقال: «اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، قالوا: زدنا، فأعدها، قالوا: زدنا، قال: ما تريدون قد سألت الله لكم خير الدنيا والآخرة، وقال أنس رضى الله عنه، كان رسول الله ﷺ يكثر أن يدعو بها يقول: ﴿ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾»[2].

وقد ذكر الله تعالى من دعا بهذا الدعاء وجعل له نصيبًا وحظًا من فضله ورحمته، قال الله عز وجل: ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا﴾ [البقرة: ٢] أى أعطنا إبلاً

(١) الموضوعات ١/١٩٦، وابن عساكر ٥/١٥٦

(٢) أبو داود (١٨٩٢)، والحاكم ١/٤٥٥، وأحمد ٢/٤١١.

وغنمًا وبقرًا وعبيدًا وإماءً وذهبًا وفضة، ينوى الدنيا فى كل شىء ولها ينفق ولها يعمل ولها ينصب، فهى همه وسؤله وطلبته، فقال الله عز وجل: ﴿وما له فى الآخرة من خلاق﴾ [البقرة ٢٠٠] يعنى حظًا ولا نصيبًا ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ [البقرة ٢٠١] وهم النبى ﷺ والمؤمنون رضوان الله عليهم.

واختلف العلماء فى معنى الحسنيين:

فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه قوله: ﴿ربنا آتنا فى الدنيا حسنة﴾ امرأة صالحة ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ الحور العين ﴿وقنا عذاب النار﴾ وهى المرأة السوء.

وقال الحسن رحمه الله: ﴿فى الدنيا حسنة﴾ العلم والعبادة ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ الجنة.

وقال السدى وابن حبان: ﴿فى الدنيا حسنة﴾ أى رزقًا حلالاً واسعًا وعملاً صالحًا ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ هى المغفرة والثواب.

وقال عطية رحمه الله: ﴿فى الدنيا حسنة﴾ العلم والعمل به ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ تيسير الحساب ودخول الجنة.

وقيل: ﴿فى الدنيا حسنة﴾ التوفيق والعصمة ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ النجاة والرحمة.

وقيل: ﴿فى الدنيا حسنة﴾ أولادًا أبرارًا ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ مرافقة الأنبياء.

وقيل: ﴿فى الدنيا حسنة﴾ المال والنعمة ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ تمام النعمة، وهو الفوز من النار ودخول الجنان.

وقيل: ﴿فى الدنيا حسنة﴾ الثبات على الإيمان ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ السلامة والرضوان.

وقيل: ﴿فى الدنيا حسنة﴾ الإخلاص ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ الخلاص.

وقيل: ﴿فى الدنيا حسنة﴾ حلاوة الطاعة ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ لذة الرؤية.

وقال قتادة رحمه الله: فى الدنيا عافية، وفى الآخرة عافية. والذى يؤيد هذا التأويل ما روى ثابت البنانى عن أنس رضى الله عنه: «أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً مريضًا قد صار مثل الفرخ المنتوف، فقال رسول الله ﷺ: هل كنت تدعو الله بشىء أو تسأله شيئًا؟ فقال: كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبى به فى الآخرة، فعجله لى فى الدنيا،

فقال ﷺ: سبحان الله إذن لا تستطيعه أو لا تطيقه، هلا قلت: اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار؟ فدعا الله عز وجل بها فشفاه»[1].

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: فى الدنيا: السنة، وفى الآخرة: الجنة.

وعن المسيب عن عوف رحمه الله أنه قال: فى هذه الآية من آتاه الله عز وجل الإسلام والقرآن وأهلاً ومالاً، فقد أوتى فى الدنيا حسنة، وفى الآخرة حسنة.

وعن عبد الأعلى بن وهب قال: سمعت سفيان الثورى رحمه الله يحدث فى هذه الآية قال: ﴿فى الدنيا حسنة﴾ الرزق الطيب ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ الجنة.

* * *

(١) مسلم فى الذكر والدعاء. حديث رقم: ٢٣، ٢٤.

مجلس
فى فضائل يوم الأضحى ويوم النحر

قول الله عز وجل: ﴿إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر﴾ [الكوثر: ١ ـ ٣].

قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: الكوثر هو الخير الكثير، منه القرآن والنبوة والنهر الذى فى الجنة، وهو نهر يجرى من بطنان الجنة، باطنه الدر المجوف، وعلى حافتيه قباب من الياقوت الأخضر، ماؤه أحلى من العسل وألين من الزبد، حمأته المسك الأذفر، وترابه الكافور الأبيض، وحصاه الدر والياقوت، يطرد مثل السهام، أعطاه الله تعالى لنبيه محمد ﷺ.

وقال مقاتل رحمه الله: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ هو نهر فى بطنان الجنة.

وإنما سمى الكوثر لأنه أكثر أنهار الجنة خيراً.

ولذلك النهر عجاج يطرد مثل السهام، طينه المسك الأذفر ورضراضه الياقوت والزبرجد واللؤلؤ، أشد بياضًا من الثلج وألين من الزبد وأحلى من العسل، حافتاه قباب الدر المجوف، كل قبة طولها فرسخ فى فرسخ، عليها أربعة آلاف مصراع من ذهب، فى كل قبة زوجة من الحور العين، لها سبعون خادمًا، فقال النبى ﷺ: «ليلة الإسراء قلت لجبريل: ما هذه الخيام؟ فقال جبريل عليه السلام: هذه مساكن لأزواجك فى الجنة».

ويتفجر من الكوثر أربعة أنهار لأهل الجنان التى ذكرها الله عز وجل فى سورة محمد ﷺ أحدها: الماء، والثانى: الخمر، والثالث: اللبن، والرابع: العسل.

قوله عز وجل: ﴿فصل لربك وانحر﴾ قال مقاتل رحمه الله: يعنى صل لربك الصلوات الخمس، وانحر البدن يوم النحر.

وقيل: ﴿فصل لربك﴾: يعنى صلاة العيد ﴿وانحر﴾: يعنى البدن بمنى.

وقيل: ارفع يدك بالتكبير إلى نحرك. قيل: ﴿وانحر﴾ يعنى استقبل القبلة بنحرك.

وقوله عز وجل: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ [الكوثر ٣] وذلك أن النبى ﷺ دخل المسجد

الحرام من باب بنى سهم بن عمرو بن هصيص والناس من قريش جلوس فى المسجد، فمضى النبى ﷺ فسلم ولم يجلس حتى خرج من باب الصفا، فنظروا إليه حين خرج ولم يروه حين دخل، فلم يعرفوه، فتلقاه العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد بن سهم على باب الصفا وهو يدخل والنبى ﷺ يخرج، وكان النبى ﷺ توفى ابنه عبد الله ابن محمد، وكان الرجل إذا مات ولم يكن له منه من بعده ابن يرثه يسمى الأبتر، فلما انتهى العاص بن وائل إلى القوم، فقالوا له: من ذا الذى تلقاك، فقال: الأبتر، فنزل قوله عز وجل: ﴿إن شانئك﴾ يعنى عدوك ومبغضك ﴿هو الأبتر﴾ يعنى مقطوع من الخير الذى هو العاص بن وائل، وأما أنت يا محمد فستذكر معى إذا ذكرت، فرفع الله عز وجل ذكره عليه السلام فى الناس عامة.

قال الله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك * الذى أنقض ظهرك * ورفعنا لك ذكرك﴾ [الشرح ١ ـ ٤] فيذكر ﷺ في كل عيد وجمعة على المنابر والمساجد والأذان والإقامة والصلاة وكل موطن، حتى فى خطبة النكاح وخطبة الكلام وفى الحاجات ﷺ، وجعل مأواه الفردوس الأعلى وما ضره قول شانئه وعدوه، وجعل مأوى العاص بن وائل النار، وأنواع العذاب والنكال لقوله للنبى ﷺ ذلك، وكفره بالله عز وجل، فهكذا يجازى الله عز وجل كل محب النبى ﷺ من المؤمنين من أمته بالجنة، ومبغضه عليه السلام من المنافقين والكفار بالنار.

(فصل) فأما الذكر:

فقوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ [الأحزاب:٤١].

وقوله عز وجل: ﴿فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون﴾ [البقرة.١٥٢].

اختلف العلماء فى ذلك:

فقال ابن عباس رضى الله عنهما: اذكرونى بطاعتى أذكركم بمعونتى، كما قال الله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت:٦٩].

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: اذكرونى بطاعتى أذكركم بمغفرتى، كما قال الله تعالى: ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ [آل عمران ١٣٢].

وقال فضيل بن عياض رحمه الله: فاذكرونى بطاعتى أذكركم بثوابى، كما قال الله عز وجل: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً *

أولئك لهم جنات عدن﴾ [الكهف: ٣٠ ـ ٣١].

وقال النبي ﷺ: «من أطاع الله فقد ذكر الله، وإن قلّت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن، ومن عصى الله فقد نسي الله، وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن»(١).

وقال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: كفى بالتوحيد عبادة وكفى بالجنة ثوابًا.

وقال ابن كيسان رحمه الله: فاذكروني بالشكر أذكركم بالزيادة، لقوله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ [إبراهيم: ٧].

وقيل: اذكروني بالتوحيد والإيمان أذكركم بالدرجات والجنان، لقوله عز وجل: ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ [البقرة: ٢٥].

وقيل: اذكروني على ظهر الأرض أذكركم في بطنها إذا نسيكم أهل الدنيا، كما قال الأصمعي: رأيت أعرابيًا واقفًا يوم عرفة بعرفات وهو يقول: إلهي عجت إليك الأصوات بضروب اللغات يسألونك الحاجات، وحاجتي إليك أن تذكرني عند البلاء إذا نسيني أهل الدنيا.

وقيل: اذكروني في الدنيا أذكركم في العقبى.

وقيل: اذكروني بالطاعات أذكركم بالمعافاة، دليله قوله تعالى: ﴿من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ [النحل: ٩٧].

وقيل: اذكروني في الخلاء والبلاء أذكركم في الجلاء والبلاء والملاء، كما روي في الخبر أن الله تعالى قال في بعض الكتب: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء، وأنا معه إذا ذكرني، فمن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم، ومن تقرب إلي شبرًا، تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إلي ذراعًا، تقربت إليه باعًا، ومن أتاني ماشيًا، أتيته هرولة، ومن أتاني بقراب الأرض خطيئة، أتيته بمثلها مغفرة، بعد ألا يشرك بي شيئًا»(٢).

وقيل: اذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء، كما قال الله عز وجل: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ [الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٤]

---

(١) الدارمي ٢/ ١٧، والدر المنثور ١/ ١٤٩، والكنز (١٨٢٦)، والقرطبي ٢/ ١٧١

(٢) الإتحاف ٩/ ١٦٩، وابن عساكر ٥/ ٢٢.

وقال سلمان الفارسى رضى الله عنه: إن العبد إذا كان دعا فى السراء فإذا نزل به البلاء قالت الملائكة: يا ربنا عبدك قد نزل به البلاء فيشفعون له، فيجيبهم الله تعالى، وإذا لم يكن دعى قالوا: الآن فلا تشفعون له، بيانه قصة فرعون ﴿الآن وقد عصيت قبل﴾ [يونس:٩١].

وقيل: اذكرونى بالتسليم والتفويض أذكركم بأصلح الاختيار، بيانه قوله عز وجل: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق:٣].

وقيل: اذكرونى بالشوق والمحبة أذكركم بالوصل والقربة.

وقيل: اذكرونى بالحمد والثناء أذكركم بالمن والجزاء.

وقيل: اذكرونى بالتوبة أذكركم بغفران الحوبة، اذكرونى بالدعاء أذكركم بالعطاء، اذكرونى بالسؤال أذكركم بالنوال، اذكرونى بلا غفلة أذكركم بلا مهلة، اذكرونى بالندم أذكركم بالكرم، اذكرونى بالمعذرة أذكركم بالمغفرة، اذكرونى بالإرادة أذكركم بالإفادة، اذكرونى بالتنصل أذكركم بالتفضل، اذكرونى بالإخلاص أذكركم بالخلاص، اذكرونى بالقلوب أذكركم بكشف الكروب، اذكرونى بلا نسيان أذكركم بالأمان، اذكرونى بالافتقار أذكركم بالاقتدار، اذكرونى بالاعتذار والاستغفار أذكركم بالرحمة والاغتفار، اذكرونى بالإيمان أذكركم بالجنان، اذكرونى بالإسلام أذكركم بالإكرام، اذكرونى بالقلب أذكركم بكشف الحجب، اذكرونى ذكراً فانيًا أذكركم ذكراً باقيًا، اذكرونى بالابتهال أذكركم بالإفضال، اذكرونى بالتذلل أذكركم بعفو الزلل، اذكرونى بالاعتراف أذكركم بمحو الاقتراف، اذكرونى بصفاء السر أذكركم بخالص البر، اذكرونى بالصدق أذكركم بالرفق، اذكرونى بالصفو أذكركم بالعفو، اذكرونى بالتعظيم أذكركم بالتكريم، اذكرونى بالتكبير أذكركم بالنجاة من السعير، اذكرونى بترك الجفاء أذكركم بحفظ الوفاء، اذكرونى بترك الخطأ أذكركم بأنواع العطاء، اذكرونى بالجهد فى الخدمة أذكركم بإتمام النعمة، اذكرونى من حيث أنتم أذكركم من حيث أنا، ولذكر الله أكبر.

وقال الربيع رحمه الله فى هذه الآية: إن الله تعالى ذاكر من يذكره، وزائد من يشكره، ومعذب لمن يكفره.

وقال السدى رحمه الله فيها: ليس من عبد يذكر الله تعالى إلا ذكره، لا يذكره مؤمن إلا ذكره بالرحمة، ولا يذكره كافر إلا ذكره بالعذاب.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الحبيب الشفيع الرؤف الرحيم الذي أخذ عن ربه الكريم أن له في كل نفس مائة ألف فرج قريب وعلى آله وصحبه وسلم
اللهم صل وسلم وبارك يارب العالمين على من بعثته رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه وسلم

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: بلغنا أن الله عز وجل قال: أعطيت عبادى ما لو أعطيته جبريل وميكائيل كنت قد أجزلت لهما، قلت: اذكرونى أذكركم، وقلت لموسى: قل للظلمة لا يذكرونى فإنى أذكر من ذكرنى، وإن ذكرى إياهم أن ألعنهم.

وقال أبو عثمان النهدى رحمه الله: إنى أعلم حين يذكرنى ربى، قيل: كيف ذلك؟ فقال: إن الله عز وجل قال: ﴿فاذكرونى أذكركم﴾ [البقرة:١٥٢] فإذا ذكرت الله ذكرنى.

وقيل: أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام: يا داود بى فافرحوا، وبذكرى فتنعموا.

وقال الثورى رحمه الله: لكل شىء عقوبة، وعقوبة العارف انقطاعه عن الذكر.

وقيل: إذا تمكن الذكر من القلب فإذا دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسه الإنس.

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: ما أعرف معصية أقبح من نسيان هذا الرب الكريم.

وقيل: الذكر الخفى لا يرفعه الملك لأنه لا اطلاع له عليه، فهو سر بين العبد وبين الله تعالى.

وقال بعضهم: وصف لى ذاكر فى الأجمة فأتيته، فبينما هو جالس وإذا سبع عظيم ضربه ضربة ونهش منه قطعة، فغشى عليه وعلىَّ، فلما أفقت قلت له: ما هذا؟ فقال: قيض الله علىَّ هذا السبع فكلما دخلتنى فترة عن ذكرى جاءنى فعضنى كما رأيت.

(فصل) وأما الدعاء:

فقوله عز وجل: ﴿وقال ربكم ادعونى أستجب لكم﴾ [غافر:٦٠]

وقوله تعالى: ﴿فإذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب﴾ [الشرح ٧ ـ ٨] أى إذا فرغت من صلاتك فانصب للدعاء له تبارك وتعالى.

وقوله عز وجل: ﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ [البقرة:١٨٦].

اختلف المفسرون فى سبب نزول هذه الآية.

فروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: «سألت يهود أهل المدينة النبى ﷺ: كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة

خمسمائة عـام، وأن غلظ كل سماء مثل ذلك؟ فنزلت هذه الآية: ﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب﴾ [البقرة ١٨٦].

وقال الحسن رحمه الله: سـأل أصحاب رسـول الله ﷺ: أين ربنا؟ فأنزل الله هذه الآية.

وقال عطاء وقتادة رحمهما الله: لما نزلت هذه الآية: ﴿وقال ربكم ادعونى أستجب لكم﴾ [غافر٦٠] قال رجل: يا رسـول الله كيف ندعو ربنا ومتى ندعـوه؟ فأنزل الله هذه الآية: ﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب﴾.

وقال الضحاك رحمه الله: سأل بعض الصـحابة رسول الله ﷺ: قريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فـأنزل الله هذه الآية: ﴿وإذا سألك﴾ يا محـمد ﴿ عبـادى عنى فإنى قريب﴾.

قال أهل المـعانى: فيـه إضمـار كأنه قـال: فقل لهم أو فـأعلمهم أنى قـريب منهم بالعلم.

وقال أهل الإشارة: رفع الواسطة إظهار للقدرة.

قوله: ﴿أجيب دعوة الداع إذا دعان فليسـتجيبوا لى﴾ [البقرة:١٨٦] أى فليـستجيبوا لى بالطاعة، يقال: أجاب واستجاب بمعنى واحد.

وقال أبو رجاء الخرسانى رحمه الله: يعنى فليدعونى.

والإجابة فى اللغـة الطاعة وإعطاء مـا سئل، يقال: أجـابت السمـاء بالمطر وأجابت الأرض بالنبات: أى سئلت السماء المطر فأعطت، وسئلت الأرض النبات فأعطت.

والإجابة من الله عز وجل: هو الإعطاء ومن العبد الطاعة.

قوله: ﴿وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون﴾ [البقرة.١٨٦] أى لكى يهتدوا.

فإن سأل سائل عن قوله: ﴿أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ وقوله: ﴿ادعونى أستجب لكم﴾ وقال: قد نرى كثيراً من خلق الله تعالى يدعون فلا يجاب لهم:

قيل: اختلف أهل العلم فى وجه الآيتين وتأويلهما.

فقال بعضـهم: معنى الدعاء هاهنا: الطاعة، ومعنى الإجابة: الثـواب. كأنه قال عز وجل: أجيب دعوة الداع بالثواب إذا أطاعنى.

وقال بعضهم: معنى الآيتين خاص وإن كان لفظهما عامًا، تقديرهما أجيب دعوة الداع إن شئت، وأجيب دعوة الداعى إذا وافق القضاء، وأجيب دعوة الداع إذا لم يسأل محالاً، وأجيب دعوة الداع إذا كانت الإجابة له خيرًا.

يدل على ذلك ما روى عن على بن أبى المتوكل عن أبى سعيد رضى الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم دعا الله عز وجل بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم إلا أعطى الله تعالى بها صاحبها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل دعوته، وإما أن يدخرها له فى الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها، قالوا. يا رسول الله إذًا نكثر، قال ﷺ: الله أكثر»(١).

وقال بعضهم: إن الآية عامة ليس فيها أكثر من إجابة الدعوة، فإما إعطاء المنية وقضاء الحاجة فليس بمذكور فى الآية، وقد يجيب السيد عبده والوالد ولده ولا يعطيه سؤاله.

فالإجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة، لأن قوله: أجيب وأستجب خبر، والخبر لا يعترض عليه النسخ، لأنه إذا نسخ صار المخبر كذابًا، وتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وخبر الله تعالى لا يقع بخلاف مخبره.

والذى يؤيد هذا التأويل ما روى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «من فتح له باب الدعاء فتحت له أبواب الإجابة»(٢).

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: قل للظلمة لا يدعونى فإنى أوجبت على نفسى أن أجيب من دعانى، وإنى إذا أجبت الظالمين لعنتهم.

وقيل: إن الله تعالى يجيب دعوة المؤمن فى الوقت إلا أنه يؤخر إعطاء مراده ليدعوه فيسمع صوته.

يدل عليه ما روى عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال. قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليدعو الله عز وجل وهو يحبه، فيقول الله تعالى: يا جبريل اقض لعبدى هذا حاجته وأخرها، فإنى أحب أن لا أزال أسمع صوته، وإن العبد ليدعو الله عز وجل وهو يبغضه فيقول: يا جبريل اقض لعبد هذا حاجته بإخلاصه

(١) أحمد ٣/١٨، وابن أبى شيبة ١٠/٢٠١.

(٢) الحاكم ١/٤٩٨، والدر المنثور ١/١٩٦، والقرطبى ٢/ ٣١٠

وعجلها، فإنى أكره أن أسمع صوته»[1].

وقيل: إن يحيى بن سعيد رحمه الله قال: رأيت رب العزة فى المنام فقلت: يا رب كم أدعوك فلا تستجيب لى؟ قال: يا يحيى إنى أحب صوتك.

وقال بعضهم: إن للدعاء آدابًا وشرائط وهى أسباب الإجابة ونيل المنى، فمن راعاها واستكملها كان من أهل الإجابة، ومن أغفلها أو أخل بها فهو من أهل الاعتداء فى الدعاء.

وقيل: إنه سئل إبراهيم بن أدهم رحمه الله فقيل له: ما بالنا ندعو الله فلا يستجيب لنا؟ فقال: لأنكم عرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم ترهبوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس.

(فصل) وأما النحر:

فقوله عز وجل: ﴿وانحر﴾.

والأصل فى النحر أمر الله تعالى لخليله إبراهيم النبى ﷺ وذلك أن إبراهيم خليل الرحمن لما أنجاه الله تعالى من نار نمرود الجبار وسلمه من كيده وعذابه، قال: ﴿إنى ذاهب إلى ربى﴾ [الصافات:٩٩] يعنى مهاجراً إلى ربى، يعنى إلى رضا ربى بالأرض المقدسة ﴿سيهدين﴾ [الصافات ٩٩] لدينه، وهو عليه السلام أول من هاجر من خلق الله فى دين الله عز وجل، فهاجر ومعه لوط وسارة أخت لوط، وهو ابن خال إبراهيم عليه السلام، فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد قال: ﴿رب هب لى من الصالحين﴾ [الصافات ١٠٠].

يقول: هب لى ولداً صالحًا، فاستجاب الله له ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ [الصافات ١٠١] يعنى عليم وهو العالم، وهو إسحاق بن سارة، ﴿فلما بلغ معه السعى﴾ [الصافات.١٠٢] يعنى المشى إلى الجبل ﴿قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك﴾ [الصافات١٠٢] يعنى أمرت فى المنام بذبحك وذلك لنذر كان عليه فيه عليه السلام ﴿فانظر ماذا ترى﴾ [الصافات ١٠٢] فرد عليه إسحاق عليه السلام بقوله: ﴿يا أبت افعل ما تؤمر﴾ وأطع

(١) ابن عساكر ٢/٤٤٧، والكنز (٣٢٦٤)، والجوامع (٥٦٩٩).

ربك، فمن ثم لم يقل إسحاق لإبراهيم افعل ما رأيت فى المنام، ورأى ذلك إبراهيم عليه السلام ثلاث ليال متتابعات، وكان إسحاق صام وصلى قبل الذبح فقال: ﴿ستجدنى إن شاء الله من الصابرين﴾ [الصافات:١٠٢] على الذبح ﴿فلما أسلما﴾ [الصافات:١٠٣] يقول: أسلما لأمر الله تعالى وطاعته ﴿وتله للجبين﴾ [الصافات ١٠٣] يقول كبه على جبهته، فلما أخذ بناصيته ليذبحه لله، علم الله منهما الصدق، وقال الله عز وجل: ﴿وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا﴾ [الصافات ١٠٤ ـ ١٠٥] فى ذبح ابنك، فخذ الكبش واذبحه فداء عن ولدك، قال الله عز وجل: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ [الصافات:١٠٧] واسم الكبش زرير، وكان من الوعول يرعى فى الجنة أربعين سنة قبل أن يذبح.

وقيل: إنه هو الكبش الذى قربه هابيل بن آدم المقتول شهيداً عليه السلام، وكان يرعى فى الجنة قد فدى به إسحاق النبى عليه السلام من الذبح، قال الله عز وجل: ﴿إنا كذلك نجزى المحسنين﴾ [الصافات:١٠٥] يعنى هكذا نجزى كل محسن، فجزاه الله خيراً بإحسانه بطاعته لأمر الله تعالى فى الذبح لابنه إسحاق.

وقيل: إن المأمور بذبحه إنما هو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، ثم قال الله عز وجل: ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ [الصافات:١٠٦] يعنى النعيم المبين حين عفا عنه وفداه بالكبش.

وقيل: إنه لما وضع الخليل عليه السلام السكين على حلق ولده نودى: ﴿أن يا إبراهيم﴾ [الصافات:١٠٤] خل ولدك، فإن مرادنا لم يكن قرباناً للولد، وإنما كان مرادنا خلو القلب عن محبة الولد، ولهذا قيل: إنه ذكر فى بعض الكتب أن إبراهيم عليه السلام لما أراد أن يذبح ولده قال فى سره: يا رب، أيش لو كان هذا الذبح على يدى غيرى، قال الله تعالى: لا يكون إلاّ على يدك، فقالت الملائكة: يا ربنا لم فعلت هكذا؟ قال: حتى يزيد بلاء على بلاء، فقالت الملائكة: لم؟ قال: حتى لا يحب أحداً غيرى، فإنى لا أقبل الشريك فى الحب، فإبراهيم عليه السلام أحب ولده فابتلى بذبحه، ويعقوب أحب يوسف فغاب عنه أربعين سنة وابتلى بفراقه، ونبينا محمد ﷺ أحب الحسن والحسين رضى الله عنهما وعلقا بقلبه، فجاء جبريل عليه السلام وأخبره بأن أحدهما يسم والآخر يقتل حتى لا يحب مع الحبيب سواه.